توظيف السلالم الحجاجية في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي نماذج من الخطب المكية

د. موزة حمد سالم الكعبي[1]

المستخلص

موضوع البحث: توظيف السلالم الحجاجية في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي"نماذج من الخطب المكية.

هدف البحث: تهدف هذه الدراسة للربط بين أبعاد عدة حيث إن قضية الأمن تعد من أهم قضايا الوجود والحياة ولتأسيس أمن قوي لابد من تقوية الفكر وتغذيته بأهمية الأمن وتبيان أهمية الأمن الفكري في حماية المجتمعات.

منهج الدراسة: اعتمدت هذه الدراسة على نظرية السلالم الحجاجية فتقوم على التدرج الصاعد أو النازل، وذلك وفق الدرس التداولي الألسني الأقرب إلى منهج دراستنا المرتكزة على الحجاج بشكل عام وحجاج ديكروا دسكومبر عبر آلية الوصف والتحليل.

النتائج: إن مفهوم الأمن الفكري والسلم المجتمعي ليس لمحاربة التطرف فحسب، بل لبناء مجتمع رصين مثالي ذي أخلاق راقية محمي من الكوارث والأخطاء لا معالج لها فقط.

[1] أستاذ مساعد في الأدب والنقد جامعة حفر الباطن
حاصل على الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض سنة ٢٠١٠
حاصل على الدكتوراه من جامعة الملك سعود بالرياض سنة ٢٠١٦
البريد الإلكتروني ...mhsk1441@gmail.com

طغت السلالم الحجاجية التصاعدية والتنازلية في الموضوعات المحاربة للفكر الداعشي المتطرف الذي يحتاج إلى المنطق والعقل، على عكس الموضوعات العامة ذات الصلة بأخلاقيات ومفاهيم عامة ناسبها الحجاج التراكمي.

التوصيات:

- ضرورة استخدام العقل في توصيل الرسالة والتأثير على الآخر، خاصة في الأمن الفكري وحماية المجتمعات.
- وأهمية تحليل الخطاب وفق الأسس الحجاجية ذات الصلة بالبلاغة، خاصة النصوص المرتبطة بالفكر الأمني.

الكلمات المفتاحية: السلالم – الحجاج- خطب- مكية – الأمن – الفكر- السلم – المجتمع.

Abstract

Research Topic: Employing Short Quranic Scriptures in Enhancing Intellectual Security and Community Peace: Samples from the Meccan Sermons.

Research Objective: This study aims to link between several dimensions, as the issue of security is one of the most important issues of existence and life, and to establish strong security, thought must be strengthened and nourished with the importance of security. It is also important to show the significance of intellectual security in protecting societies.

Methodology: This study relied on the theory of the short Quranic scriptures, based on the ascending or descending grading, according to the linguistic pragmatic lesson, which is closest to the method of our study with the focus on pilgrims in general and the pilgrims Decroix December through the mechanism of description and analysis.

Significant Results: The concept of intellectual security and societal peace is not only to fight extremism, but to build an ideal, sober society with high morals that is protected from disasters and mistakes that cannot be addressed only.

The ascending and descending pilgrimage scales dominated the topics combating the extremist ISIS ideology that needs logic and reason, in contrast to the general topics related to ethics and general concepts that the cumulative pilgrims suited.

Recommendations: The necessity of using reason in communicating the message and influencing the other, especially in intellectual security and the protection of societies.

And the importance of discourse analysis according to the argumentative foundations related to rhetoric, especially texts related to security thought

key words: short Quranic scriptures - pilgrims - sermons - Mecca - security - thought - peace - society.

المقدمة

إنَّ أمن المجتمعات فكريًا من أهم وسائل مكافحة الإرهاب، والحفاظ على ثوابت الأمة، فالأمن الفكري ركيزة استقرار لها، والإخلال به يُحدث اضطرابًا وتصدعًا للأمة؛ ولذا تزداد أهمية هذا الموضوع الذي يحتاج إلى وسائل عامة لطرحه عبر خطابٍ عام كخطبة الجمعة؛ إذ لخطبة الجمعة دورٌ فعال يتمثل في كونها تجمع شرائح متعددة ومتنوعة الفكر والقناعات، وتمثل جميع أطياف المجتمع التي تحرص على حضور خطبة الجمعة، وبما أن حوار العقل، وإيصال القناعات عبر تدرجات حجاجية هو الأفضل والأعمق في مخاطبة العقل والتأثير في الأذهان؛ آثرنا اختيار هذا المجال، وهو: " توظيف السلالم الحجاجية لتعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي، نماذج من الخطب المكية".

حدود الدراسة

تتكون من حدّين:

الحد الأول: هي خطب منتقاة من خطب يوم الجمعة في المسجد المكي تناولت تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي الذي سنشرح مقصوده لاحقًا، وهي خمس خطب ألقيت بين ١٤٣٦هـ، وعام ١٤٣٨هـ، ومأخوذة من الموقع الرسمي لخطب الحرم المكي، وترتيبها حسب الزمن كالآتي:

١. "بيان حول الفئة الضالة داعش" بتاريخ: ٢٩-١٠-١٤٣٦هـ.
٢. "الوعي والحذر" بتاريخ: ٢٨-٣-١٤٣٧هـ.
٣. "التعايش والوفاق في المجتمع المسلم" بتاريخ: ٢٤-٥-١٤٣٧هـ.
٤. "الأمن الاجتماعي وكيفية تحقيقه" بتاريخ: ٢٣-٦-١٤٣٧هـ.
٥. "نصرة الإسلام بالعمل له والدعوة إليه" بتاريخ: ١٨-٢-١٤٣٨هـ.

الحد الثاني: المنهج الأدبي المتبع هو منهج ألسني تداولي، حجاجي على وجه الخصوص وفق منظور السلالم الحجاجية التي سنعرفها لاحقًا.

أهمية البحث

تبدو أهمية البحث من خلال ما يأتي:

١. تعدديّة الآراء وتوسّعها في العصر الحالي؛ حيث غدت الأفكار أسرع تناقلًا وتدولًا؛ نظرًا لما تتيحه محركات التواصل الاجتماعي، فغدا ما يسهل منعه قبل أعوام يسهل الوصول إليه من قبل أصغر فرد من أفراد المجتمع.

٢. كثرة الدعوات لشرعية الخلاف وتعدد النظرة في الوقت الذي تقهقرت فيه السلطة الجبرية في المجتمعات المسلمة؛ نتيجة الانفتاح والمقارنات.

٣. أهمية الحوار في تقريب الخلافات فهو "النهج المؤدي إلى حضور جميع الآراء والأطروحات المتخالفة لتوضع ضمن طريقة حوارية هي الأنجع في جعل كل طرف يلقي ما لديه متحدثًا تارة، ومستمعًا تارة أخرى، ومراعيًا في ذلك كله أطر الحوار وقوانينه"(١).

٤. جِدّة النظرية الحجاجية في طريقة تعاملها مع الخطاب وقلة التطبيقات الفعلية؛ حيث لاحظت كثرة الدراسات في هذا الجانب، في حين أن إشعال فتيل الدراسات الحجاجية تطبيقيًا يُعد مطلبًا أساسيًا لهذه الدراسة.

٥. كما تنطلق أهمية هذه الدراسة من كونها سترصد ظاهرة السّلمية، فالنفوس تأنف أن يلقى عليها الفكر دفعة واحدة، في حين تألف التدرج الذي يمهد القبول عبر إشغال العقل بتراتبية مؤثرة في النفوس.

(١) ينظر: الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، المالكي، العدد: ١٩، ٢/ ٢.

٦. اختيار الدراسة الخطاب الديني لخطب الحرم المكي بوصفه نموذجًا حيًا لمواجهة أبرز القناعات المدمرة للسلم المجتمعي؛ إذ لا يخفى أن الإسلام أضحى متهمًا بإحياء موجات التطرف، كما لا يخفى حظوة الخطاب الديني بمكانة كبيرة في عقول العامة قبل الخاصة؛ وذلك لقداسة خطبة الجمعة، علاوةً على قداسة الحرم المكي.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى:

١. بيان مفهوم السلالم الحجاجية في الخطابة المكية.

٢. توضيح أهم القوانين التي تحكم هذه السلالم وأثرها الحجاجي في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي.

٣. بيان أثر ترابطية الحجج وأقوال الحجج في إبراز معنى الأمن الفكري والسلم المجتمعي.

٤. معرفة مدى مفهوم الأمن الفكري والسلم المجتمعي من خلال التدرج الحجاجي في الخطب المكية.

منهج الدراسة

تحاول الدراسة استخدام توليفة من المناهج العلمية لدراسة أثر السلالم الحجاجية في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي؛ بهدف الوصول إلى استنتاجات تسهم في خلق فكر أمني وسلم مجتمعي عبر حجاجية السلالم في الخطابة المكية؛ إذ تنطلق الدراسة من اعتمادها على المنهج الألسني التداولي الذي سخر المنهج الاستقرائي من حيث الوقوف بالوصف والتتبع لمكونات السلالم الحجاجية وروابطها، والقوانين التي تحكمها، وأثر ذلك في تعزيز الأمن الفكري، كما تعرج للمنهج الوصفي في إيضاح آليات السلم الحجاجي وأثره، دون غياب مؤكد للمنهج التحليلي الذي يساعد الدراسة على فهم آليات ومسالك السلالم

الحجاجية المعتمدة على التدرج في الكلام؛ مما يميز الخطاب الحجاجي ويجعل الحجج المُقدّمة محققة لمداها.

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات الحجاجية، ولم أعثر -حسب اطلاعي- على دراسات تناولت الخطب المكية والحجاج، غير أن هناك دراسات تناولت السلم الحجاجي تناولًا نصيًا تطبيقيًا، منها:

١. السلالم الحجاجية في كلام الإمام الحسن-عليه السلام- لمروة حسام كاظم ومروة مطر حسين، بحث محكم منشور في مجلة كلية التربية الأساسية الصادرة من جامعة بابل العدد٤١، التاريخ ٢٨-٢-٢٠١٨م، وهذه الدراسة أقرب إلى دراستي من حيث التقسيم؛ تنازليًا، تصاعديًا، تراكميًا، غير أنها لم تتطرق إلى قوانين السلالم وروابطها.
٢. الخطاب الحجاجي في الخطبة الفدكية للسيدة الزهراء (الروابط الحجاجية اختيارًا، عبدالإله عبدالوهاب العرداوي، مجلة الآداب، جامعة الكوفة، العدد ٤٤، ٢٠٢٠م، وقد اقتصرت على أربعة روابط، وهي: التعارض، والعطف، والتساوق، والتعليل.
٣. أما الدراسات الآتية فاقتصرت على دراسة الحجاج في الخطابة لا أكثر، وبالتالي فقد أشبهت هذه الدراسة من هذه الناحية فقط، وهي:
٤. آليات الحجاج في خطبة النبي في خطبة الوداع، هاني علي سعيد، حوليات كلية الآداب، العدد ٣٦، ٢٠١٥م.
٥. خطبة الحجاج الثقفي دراسة في لسانيات النص، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ليلى خلف السبعان، العدد ٣٥، ٢٠١٧م.
٦. الحجاج في خطبة ابن عاصم، صلاح عبدالله أبو يحيى، مجلة دراسات، العدد ٤٥، ٢٠١٨م.

وهناك دراسات أخرى غير ما ذكر، إلا أنها -حسب اطلاعي- تناولت الحجاج واتجاهاته بشكل نظري أو تطبيقي ضمن تقنيات الحجاج لبيرلمان، وهو بعيد عن منهجية دراستنا التراتبية للحجج، وينقسم هيكل هذه الدراسة إلى:

مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث

المبحث الأول: توظيف السلالم الحجاجية التصاعدية في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي.

المبحث الثاني: توظيف السلالم الحجاجية التنازلية في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي.

المبحث الثالث: توظيف السلالم الحجاجية التراكمية في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي.

ثم **خاتمة** أبرزت فيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

يهتم التمهيد بالوقوف على العنوان؛ حيث يتكون من شقين: السلالم الحجاجية، والأمن الفكري والسلم الاجتماعي؛ لذا سأتناول مفهوم كلٍّ منهما على حدة.

مفهوم الأمن الفكري والسلم المجتمعي

أ- الأمن الفكري: الأمن في اللغة: ضد الخوف، وهو الطمأنينة[١]

الفكر في اللغة

إعمال الفكر لشيء[٢].

الأمن الفكري اصطلاحًا

"اطمئنان الفرد والمجتمع إلى المنظومة الفكرية والخلقية وقيمه التي يترتب عليها العلاقات بين أفراد المجتمع، وأنها ليست موضع تهديد من فكر وافد غريب"[٣].

وذكر باحث آخر: أنه "الحفاظ على المكونات الثقافية الأصيلة في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة والمشبوهة، فهو يصب في صالح الدعوة لتقوية أبعاد الأمن الوطني"[٤].

ويمكن أن يعرف بـ "أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم آمنين على سلامة فكرهم وعقولهم وفهمهم من الانحراف، والخروج عن الوسطية والاعتدال في تصورهم للأمور، ومطمئنين لمكونات أصالتهم وثقافتهم النوعية، ومنظوماتهم الفكرية"[٥].

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٣/ ٢١، مادة: أمن.
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ٥/ ٦٥، مادة: فكر.
(٣) الأمن الفكر وسبل تحقيقه، البريك، ص١٢.
(٤) ينظر: صحيفة المثقف إلكترونية، أ الأمير، العدد: ٤٨٨٤، ٢١/ ١٢/ ٢٠١٥م: https://www.almothaqaf.com/qadaya-2/900942-2015-12-21-01-36-53
(٥) الأمن الفكري ودوره في تعزيز مكافحة التطرف الديني والإرهاب -دراسة حول الإرهاب في الجزائر، بو كرب، ص٨.

ب- **مفهوم السلم المجتمعي**

السلم في اللغة

السلامة والبراءة من العيوب والنجاة من الآفات والأخطار[١].

السلم في الاصطلاح

حالة السلم والوئام داخل المجتمع نفسه، وفي العلاقة بين شرائحه وقواه[٢]. غير أننا نرى أن هذا التعريف مقتضب، ويمكن أن نعرفه بأنه: "حالة من القدرة على التعايش بين طبقات المجتمع، مع الاحتفاظ بنقاط الخلاف، وعلى الهوية الموروثة والمكتسبة لكل فرد ولكل فئة، دون ضرر بالآخرين وإيذائهم نفسيًا أو جسديًا".

مفهوم الحجاج

الحجاج والمحاججة مصدر للفعل (حاجّ)، ورد في المعاجم العربية، ومنها لسان العرب: "حاججته أحاججه محاجّا محاججة حتى حججته: غلبته بالحجج التي أدليت بها"[٣].

هناك اختلاف في تعريف الحجاج في البلاغة الجديدة؛ فحين يراه "شاييم بيرلمان" و"تيتكاه" بأنه: "دراسة التقنيات الخطابية التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"[٤]، "فالحجاج عندهما خطاب واعٍ يرتكز في أساسه على مُنتج الخطاب وعلى مدى قدرته على بناء نص حجاجي من خلال توظيف للآليات الحجاجية المختلفة، فهو يحمل طابعًا جدليًا بين الباث والمتلقي وفق تقنيات

(١) لسان العرب، ابن منظور، ١٢/ ٢٨٩، مادة: سلم.
(٢) السلم المجتمعي مقوماته وحمايته، الصفار، ص ٩.
(٣) لسان العرب، ابن منظور، ٢/ ٢٢٦، مادة: حجج.
(٤) نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات، الصولة، ص١٣.

معينة يحاول بواسطتها كل منهما إقناع الآخر وإفحامه بحجج منطقية عقلانية"[١].

في حين يراه "ديكرو" و"أنسكومبر": بـــ"أن الحجاج يكمن في اللغة وليس فيما يكمن من منطق رياضي أو شكلي أو صوري كما ذكر "بيرلمان" و"تيتكاه"، فهما يريان أن الأفعال القولية لها كثير من الوظائف الحجاجية تتمظهر في بنية الجملة، وتحمل الجمل بمؤشرات تحدد قيمتها التداولية داخل البنية التركيبية باستقلال عن المحتوى الإخباري [٢]. ويفرق بين الحجاج العادي والحجاج الاصطلاحي كما في الآتي:

١. الحجاج بالمعنى العادي: يعني الحجاج بمعناه العادي طريقة عرض الحجج وتقديمها، ويستهدف التأثير في السامع، فيكون بذلك الخطاب ناجعًا فعّالًا، مع مراعاة حال المتلقي.

٢. الحجاج بالمعنى الفني الاصطلاحي: يدل على نوع مخصوص من العلاقات المودعة في الخطاب والمدرجة في اللسان، ضمن المحتويات الدلالية، والخاصية الأساسية للعلاقات الحجاجية؛ إذ تكون درجية أو قابلة للقياس بالدرجات الموصولة بسلم[٣].

ويرى **"طه عبد الرحمن"** أن حد الحجاج بأنه فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي؛ لأن طابعه الفكري مقامي اجتماعي؛ إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيًا في إنشاء معرفة علمية إنشاء موجهًا بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي؛ لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صورٍ استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"[٤].

(١) البينة الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، العرابي، ص٤.
(٢) البينة الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، ص٤.
(٣) ينظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص١٤، ١٦.
(٤) في أصول الحوار وتجديد أصول نسطورعلم الكلام، طه عبد الرحمن، ص٦٥.

مفهوم السلالم الحجاجية

تُعد نظرية السلالم الحجاجية من أهم مفاهيم الحجاجية التي أفرزتها الدراسات الألسنية التداولية في حقل الحجاج.

واختارت هذه الدراسة من هذه المناهج الحجاجية منهجية **"ديكرو إنسكومبر"** التي تهتم بالسلالم الحجاجية؛ لمناسبتها لتقنيات الخطابة الجمعية التي تستهدف عامة الناس، وتلبي حاجتهم، وتتطرق لموضوعات عامة يناسبها التدرج أكثر من التقنيات المنطقية والعقلية التي تستدعي عمق النظرة، وقارئًا مثاليًا. ولا يخفى أن خطبة الجمعة تحتوي على جمهور مثقف وآخر غير متعلم أو محدود الثقافة من طفل أو كبير سن، وإن كانت جميع التوجهات الحجاجية تتداخل مع بعضها تداخلًا يجعل المناهج الحجاجية المتعددة قوالب جامدة ذات صيغة تقليدية في أغلبها.

وتنطلق نظرية السلالم الحجاجية من "إقرار التلازم في عملية الحجاج بين القول الذي يرمز له بـ"ق"، والنتيجة التي يرمز لها بـ"ن"، وهذا التلازم معناه أن الحجة لا تكون حجة إلا بإضافتها إلى النتيجة التي قد يُصرَّح بها أو تكون ضمنية.

ومثال ذلك لمن قال: ماذا تريد أن تفعل اليوم؟

ألا ترى أن الطقس جميل؟

فالاستفهام في القول الثاني: "هو حجة ضمنية للخروج إلى النزهة، وإن لم يصرح به".

وعلى ما سبق، جرى تعريف السلالم الحجاجة بأنها "علاقة ترتيبيّة للحجاج باعتبار وجْهتها وقوتها الحجاجية" فإن بين هذه الحجج علاقة ما، فهي تنتمي إلى ذات السلالم نفسها"[1].

(١) في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، عبد الرحمن، ص١٠٥.

مما لا شك فيه "أن تسلسل الأقوال في الحجاج يختلف عنه في الاستدلال؛ لأن تسلسلها في الاستدلال ليس مؤسسًا على الأقوال نفسها، ولكنه مؤسس على القضايا المتضمنة؛ أي على ما تقوله أو تفترضه، وأما في الحجاج فهي مؤسسة على **بنية الأقوال اللغوية**(١) واشتغالها داخل الخطاب"؛ **لذلك فإن تدافع الحجج وترتيبها يأتي حسب قوتها ضمن علاقة تبنى على أساس التفاوت في درجة القوة لكل حجة يأتي بها المتكلم؛ ولذا سيكون تقسيمنا لنوعية السلالم الحجاجية إلى ثلاثة أنواع**:

١. **التصاعدي:** يتخذ "مسارًا تصاعديًا؛ إذ يبدأ منشئ الخطاب بإيراد الحجة الضعيفة، ثم الحجة القوية، ثم الأقوى".
٢. **التنازلي:** وهو إيراد الحجة الأقوى عند توجيه الخطاب إلى متلق ما لينتقل بعدها إلى الحجة الأقل قوة فالأقل.
٣. **التراكمي:** يسمى الحجاج طبقًا لهذا النمط حجاجًا تراكميًا، ويعرف هذا النوع من الحجاج بتعدد الحجج فيه وتراكمها دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى إلى الأضعف والعكس، ودون مراعاة للتفاوت الحاصل في القوة المدللة وتراكمها، فكل حجة مستقلة عن الأخرى، ونقض كل حجة لا يستلزم نقض الأخرى، كما في النوعين السابقين.

وقد يستدرك مستدرك على كلمة السلالم على التراكمية على أساس أنها لا تعتمد على مبدأ السُلَّمية، غير أننا أخذنا بـ:

١. أنَّ تراكم الحجج يمكن عدّه تجوزًا سُلمًا بَنَى عليه المحاجج ترتيب حججه وفق آلية نظمها دون مبدأ الأقوى والأضعف والأكثر والأقل، لكن "كل حجة تكون أقوى

(١) نظرية أفعال اللغة لدى الفيلسوف أوستن أسسها وحدودها الفلسفية، بن أخدوش، ص٩.

وأكثر فاعلية في اللحظة التي تستعمل فيها، وهي أكثر عفوية وتلقائية من النوعين السابقين"[١].

٢. أن نقض حجة من تلك الحجج لا يؤدي إلى نقض الأخرى[٢]، فهي مرنة، ولا تنتمي إلى فئة واحدة؛ لنبين أنه علاوة على التراتبية السلمية من السلالم الحجاجية وهرميتها والروابط الحجاجية، فهناك مواطن مشتركة، ومواضع محكمة تسمح بالدفاع عن القضايا المطروحة انطلاقًا من مقدمات مقبولة لدى العامة، فالانتقال -كما ذكر "ديكرو"- لا تحكمه قوانين المنطق فقط، وإنما توجهه باقة أو حزمة من المواضع والنماذج، فانسجام الملفوظ يتأسس على ما يتضمن من مواضع حجاجية تلعب دور الضامن للانتقال من الحجة إلى النتيجة.

٣. فـ"ديكرو" يؤكد أن الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية توجه التسلسل الحجاجي وجهة معينة بصرف النظر عن المحتوى الإخباري للملفوظ، في حين تساعد المواضع الحجاجية على استنباط النتيجة الملائمة للملفوظ[٣]، وهذا ما يمكن أن نسميه بالسلم التراكمي؛ حيث لا يعتمد على الهرمية والتدرج أعلى أسفل أو العكس، وقد أسماها "بيرلمان" الترتيب النسطوري[٤]؛ حيث يتعذر من وجهة نظره ترتيب الحجج فيه،

(١) الحجاج في الخطاب السياسي، الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري أنموذجًا دراسة تحليلية، قادا، ص٣٧٣.

(٢) ينظر: ضمن كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته: آليات الحجاج وأدواته، الشهري، ٩٨/١، السلالم الحجاجية في شعر الوائلي، حنون، العبودي، ص٨٦.

(٣) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، ختام، ص٢٢.

(٤) نُسْطُورِيَّةُ ، وتُفْتَحُ: أُمَّةٌ من النَّصارَى، تُخالِفُ بَقِيَّتَهُمْ ، وهم أصحابُ نُسْطُورٍ الحكيم، الذي ظَهَرَ في زَمَنِ المأمون، وتَصَرَّفَ في الإِنْجِيلِ بِحُكْمِ رَأْيِهِ أَنَّ اللهَّ واحِدٌ ذو أَقَانِيمَ ثلاثةٍ، وهو بالرُّومِيَّةِ نَسْطُورِسْ، فهم لا كثوليك ولا أرثدوكس ولا برستانس. ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، ص٤٨٢.

فترتيبها مسألة نسبية، فما دامت الغاية من الخطاب هي الإقناع، فإن ترتيب الحجج ينبغي أن يكفي مع هذه الغاية فكل حجة يجب أن يؤتى بها في الوقت المناسب.

٤. ومع تقديري لرأي "بيرلمان"، فإن هناك حججًا تستدعي أن تُساق وفق سُلمية تصاعدية أو تنازلية؛ لتكون تراكمية نسطورية[١] لها مسار يمكن أن يسمى سلمًا تجاوزًا من حيث مجيئه على أنساق اللغة المختلفة من استفهام أو وصف أو تكرار، وهلم جرا، وتسميتها بالتراكمية؛ لتراكم السياقات فيها.

وعلى هذا التقسيم سيكون عرض نماذج السلالم الحجاجية (تصاعديًا، تنازليًا، تراكميًا) في الخطب المكية المعززة للأمن الفكري والسلم المجتمعي.

توظيف السلالم الحجاجية التصاعدية في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي

لقد اقترح "ديكرو" لترتيب الحجج وما تؤول إليه من النتائج ضمن العلاقة الحجاجية سلمًا حجاجيًا ترتب به الأقوال بشكل تدريجي تكون فيه الدرجة الأعلى للقول الذي يملك الدليل الأقوى، ويكون هذا السلم بشكل عمودي؛ يبدأ أسفله بحجة، ثم تعلوها حجة قوية، لتعلوها حجة أقوى، لتصل إلى أعلى السلم؛ حيث نعثر على النتيجة[٢]، ويمكن تمثيلها كما في الرسم التخطيطي التالي:

(١) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، ابنو هاشم، ص ١٠٩، ١١٠.
(٢) المشروع البلاغي عند محمد العمري، ضيف، ص٦٠.

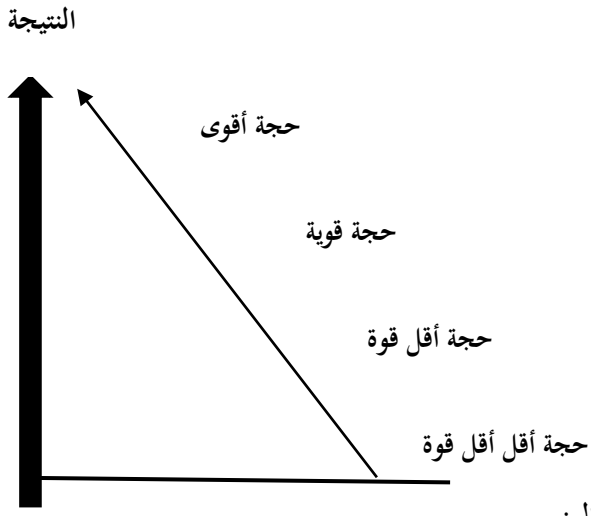

*مثال:

ما ورد في خطبة معنونة (**بيان حول الفئة الضالة داعش**):

"غير أن ما يحصل في هذا الإجرام من قتل عشوائي جماعي شيء مؤلم، يدمي القلب حينما يستهدف هؤلاء الأبرياء المصلين المسلمين، ولكن عزاء المسلم أن هذا الابتلاء قد ابتلي بما هو أعظم منه، وأنكى أفضل الخلق نبينا محمد ﷺ ومعه صحابته -رضوان الله عليهم- ففي حادثة الرجيع قتل عشرون من القُّراء غدرًا بين مكة والمدينة، بِيع اثنان منهم بمكة ليقتلا صبرا... وفي حادثة بئر معونة قتل سبعون من القُّراء غدرًا بهم.... يقال ذلك ويستشهد به ليس استهتارًا بدماء المسلمين أو تهوينًا بحقوق إخواننا وأهلنا، ولكن يظهر أن الابتلاء سنة الله، وهي في أهل الإيمان أشد"[1].

(١) http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1436&hjmonth=10&browseby=k hateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah.
القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، خطبة بيان حول الفئة الضالة داعش، ١٤/٠٨/٢٠١٥م، الرابط: https://youtu.be/t2FfK-RJbi4K

فالنص أنتج سلّمًا تصاعديا رُتِّبّ بالشكل الآتي:

النتيجة = أن ما يفعله داعش من أعمال إجرامية من قتل للمسلمين الأبرياء قد فعله سلفهم في النبي ﷺ وفي صحبه.

الحجة الأقوى = قتل سبعون " حادثة بئر معونة"

الحجة الأقل قوة= قتل عشرون" حادثة الرجيع

فلمّا أراد الخطيب أن يُرسِّخ فكرة أن الدواعش هم الأكثر فتكًا بالإسلام وأهله ومع ادعائهم أنهم أهل الإسلام، فإنهم أكثر فتكًا بأهل الإسلام وأهله، وإن ادعوا أنهم أهله أنفسهم، فالابتلاء والبلاء في المؤمنين ناموس طبيعي، لاسيما أهل الإيمان الحق. ثم استدعى الخطيب إسقاطًا تاريخيًا من السيرة النبوية كما في حادثة الرجيع التي قتل فيها عشرون من الصحابة -رضوان الله عليهم- حينما جاء وفد من قبائل العرب يطلبون من النبي ﷺ أن يرسل معهم وفدًا من الصحابة ليعلموهم أمور دينهم، فلما تمكنوا منهم غدروا بالصحابة، ومنهم عاصم بن ثابت ﷺ. وقصة بئر معونة شبيهة بها.

وقد أورد الخطيب الأدلة على طريقة الترقي من الأقل العشرين إلى الأعلى السبعين، مسقطًا حادثة أخرى أشد فظاعة؛ لكثرة القتلى؛ حيث بلغ عددهم سبعين قتيلًا، وهي تشبه حادثة الرجيع(١)؛ مما يزيد قناعة المتلقي بأن الابتلاء يقع على صفوة المسلمين، وحادثتا الرجيع وبئر معونة تؤكدان ذلك.

(١) الرجيع وخلاصتها باختصار أن أناسًا جاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا له ابعث لنا رجالًا يعلمونا القرآن والسنة، فبعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار يقال لهم القراء كانوا من أفاضل الصحابة، فعرضوا لهم وغدروا بهم وقاموا بقتلهم. فتصاعد الحجة واضح في ازدياد عدد القتلى من الصحابة. الرحيق المختوم، المباركفوري، ص٢٩٢-٢٩٣.

قانون السلم الحجاجي

ويلاحظ في هذا الجزء من الخطبة أن السلم الحجاجي قام على قانون التبديل(النفي)، وهو قانون يقوم على "إذا كان القول دليلًا على مدلول معين فإن نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله"(١)، ويمكن تمثيله عبر هذه المعادلة:

ج١=ن.

-ج= -ن.

فالنتيجة في الحجاج -والتي نرمز إليها بـ"ن"- هي: (أن ما يفعله داعش من أعمال إجرامية من قتل للمسلمين الأبرياء قد فعله سلفهم في صحابة النبيﷺ).

"وسالب النتيجة "-ن" هو: (أعمال داعش ليست إجرامية، فهم لا يقتلون المسلمين المصلين، وهذا لم يقع من سلفهم مع صحابة النبي ﷺ)، وهذا عكس "ن" فنرمز له بـ"-ن".

فحجة حادثة الرجيع نرمز لها بـ "ج" (حجة)، وهي تنتمي إلى النتيجة "ن"، وهي قتل عشرين من الصحابة، ونفيها يكون (لم يقتل عشرون من الصحابة)، ونرمز لها "-ج"، ونلحظ أن "-ج" تنتمي إلى "-ن"، ومثل هذا ينطبق على الحجة الأقوى.

ن= (أعمال داعش إجرامية، فهم يقتلون المسلمين المصلين، وهذ يقع من سلفهم مع النبي ﷺ والصحابة).

-ن= (أعمال داعش ليست إجرامية، فهم لا يقتلون المسلمين المصلين، وهذا لم يقع من سلفهم الصحابة مع النبي ﷺ).

ج١= الحجة الأقوى= قتل سبعين" حادثة الرجيع" -ج١= لم يقتل المسلمون في الرجيع.

(١) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمن، ص٢٧٨.

ج٢ الحجة الأقل قوة = قتل عشرين "حادثة بئر معونة". –ج٢= لم يقتل المسلمون في بئر معونة.

ولا شك أن بناء الحجاج على قانون النفي له مزية، ومنها: أنه يقطع على المتلقي ترديد الرأي الآخر، وهو إنكار أن داعش تقوم بأعمال إجرامية كما قام سلفها، ولو حاول المتلقي نفي ما أكده الخطيب تلقته الحجة الأولى والثانية من إجرام داعش، كما في سلفهم من تقتيل للمسلمين المصلين. ويتضح لنا أهمية هذا التدرج، ففي مقامات الحجاج عادة يأتي في ذهن المتلقي الخصم الضد ونفي الفكرة، ويأتي إيراد الإثبات والتدرج مسايرةً لما في عقل المتلقي ونزولًا عند تفكيره.

الروابط الحجاجية في الحجاج

أولًا: الروابط الحجاجية: الفاء+ الواو

لا شك أن للروابط الحجاجية مهمة خاصة في ترتيب السلم الحجاجي حين تربط بين قضية وحجة أو بين حجة وحجة، ونلحظ في هذا المثال أن بين الحجة "الأقل قوة" والنتيجة رابط حرف الفاء **"ففي حادثة الرجيع قتل عشرون"**، وهذا يزيد السلم الحجاجي قوة، فلا يخفى ما للفاء من دلالة التعقيب والترتيب؛ أي المباشرة من النتيجة إلى الحجة، فالفاء تضطلع بمهمة حجاجية لها غرض التعليل أو التفسير، وهنا جاءت مفسرة لما ورد في النتيجة حين فسرت الحجة بإسقاطات تاريخية عن طريق ضرب المثال بما حدث في عهد النبي ﷺ. ولا شك أن للحجة بالمثال دورًا لا يخفى؛ حيث ينطلق من مثال مفرد لتعميم حكم ما، فيتأسس الواقع على ظاهرة مفردة يتم توسيعها؛ بحيث تصبح حالة عامة لا مجرد حالة خاصة[1]، فمثال

(١) الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، الدريدي، ص٢٣٧، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، بنو هاشم، ص٨٤.

حادثة الرجيع وبئر معونة مثالان مفردان، فهما يتحولان إلى ظاهرة عامة، وهي: ابتلاء المؤمنين بكثرة القتل، لاسيما إذا كان إيمانهم أقوى؛ إذ يزداد الابتلاء بالقتل من قبل الأعداء سواء داعش أو من شاكله، فمن حالة خاصة للرجيع وفتكامعونة، إلى عامة تقوى الحجة؛ ليعممها الخطيب على داعش وتقتيلهم للمؤمنين، وربطها بما وقع على الصحابة؛ لتجريم فعل داعش، وجعل النفوس تشمئز منهم، فهم لا يتورعون عن قتل أي مؤمن؛ مما يجعل عقل المتلقي يلفظهم ويرفض تصرفاتهم.

أما الرابط الثاني فهو الواو "في الحجة الأقوى ولا يخفى ما لحرف الواو من دلالة على الحكم المطلق[١] كمعنى من معاني العطف؛ مما يوحي بحكم مطلق لأمثلة كثيرة تدعم هذه الحجة، فقام حرف الواو بالربط بين الحجتين، وعمل على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية الحجة المطروحة، وهي قتل السبعين، كما عمل على الترادفية في الحصول على النتيجة الواحدة، وهذا الربط النسقي بين الحجج قد أضفى سلمية تدرجية باتجاه الأقوى، وبذا تتسع الاحتمالات الحجاجية، فالرابط الحجاجي"الواو" يربط بين قول ما وبين النتيجة التي يمكن أن تؤدي إلى الاحتمالات الممكنة والمحتملة، فهو يربط بين وحدتين دلاليتين[٢].

ومما يزيد جمالية هذه الحجاجية أنها وقعت بين فكين لسلمين حجاجين تصاعديين؛ أحدهما تنازلي؛ حيث إنها تصبح حجاجًا للقضية التي ذكرها الخطيب في قوله: **"ولكن هذا يظهر أن الابتلاء سنة، وهي في أهل الإيمان أشد"**. أما الأخرى فنعكس السلم فيصبح تنازليًا، وهذا ذكاء تقني حجاجي من الخطيب؛ ليظل العقل المتلقي في ارتقاء للقضية الأولى، وهي أعمال داعش الإجرامية، لينهي الحجاج في قضية الابتلاء والمؤمنين. ولا شك أن في هذا

(١) ينظر مغني اللبيب في كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، ١/ ٦٦٥، تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجا، دحما، ٢٠١٣م، ص١٨١.

(٢) توظيف الروابط الحجاجية في مقالات البشير الإبراهيمي، الحجاجي، ص٦٦.

إعمالًا للعقل وتنشيطًا له، وجعل المتلقي مع الآخر يدور في دائرة القضيتين اللتين تجرم داعش وأعماله، وهو المسعى المطلوب؛ ليدفعه المنكر والشاك والمتردد، ويتعلمه الجاهل.

ونخلص مما ذكر إلى أثر السلم الحجاجي في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي، فالسلم عزَّز فكرة تمرس داعش بالأعمال الإجرامية التي ترفضها الإنسانية، وأن الابتلاء للمؤمن، ويشتد الابتلاء كلما اشتد الإيمان، ولا يخفى ما لهذه الفكرة من تهدئة النفوس، ومن أن ناموس الكون الابتلاء؛ مما يدفع فكرة الانتقام والأخذ بالثأر، وبالتالي يدعم السلم والأمن؛ فتقل حوادث الانتقام، وليزيد النفور من داعش وأعماله الإجرامية، خصوصًا وأن ما يمارسه داعش من إجرام شبيهٌ بأعمال وقعت على الصحابة رضوان الله عليهم.

مثال آخر

ومما يدل على نمط السلم الحجاجي في الخطب المكيَّة ما جاء في خطبة **"الأمن الاجتماعي وكيفية تحقيقه"**؛ إذ قال الخطيب: **"إن من كمال الشريعة أنها تتشوف دائمًا إلى تحقيق الأمن واستقرار المجتمع؛ لما في ذلك من المصالح الكبرى والمنافع العظمى في الدين والدنيا؛ ولذلك حرَّمت الشريعة جملة من الأعمال المنافية لهذه المصالح والمناقضة لأمن المجتمع واستقراره كالظلم، والبغي، والزنا، وعقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، وأكل أموال الناس بالباطل؛ بالربا، والرشوة، والسرقة، والاحتيال...ومن أعظم ما حرصت عليه الشريعة لبناء المجتمع الآمن: الحصانة، والصيانة الفكرية للأمة من فتنة الشبهات والأفكار الضالة، وأفكار التطرف والغلو التي تسبب العنف، والقسوة، والجنوح في التعامل مع المجتمع"**[1].

(١) انظر:
http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1437&hjmonth=06&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah.

النتيجة والقضية المراد إثباتها هي: أن الشريعة تسعى دائمًا إلى تحقيق الأمن واستقرار المجتمع، ولا أدل على ذلك من أنها تجرم الأفعال المشينة كالظلم، بل الأعظم من ذلك أنها تسيّج المجتمع بحصانة فكرية تدرأ الأفعال المشينة غير منتظرة وقوعها لتعالجها، وهذا كمال الكمال في الأمن الفكري والسلم المجتمعي أن نوجد الدواء قبل مجيء الداء فالوقاية أولى من العلاج، فيكون السلم الحجاجي هو:

ن= من كمال الشريعة تطلعها لتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع "إن من كمال الشريعة أنها...".

ج٢= حرص الشريعة على الصيانة الفكرية للأمة من فتنة الشبهات والأفكار الضالة؛ **(ولذلك حرمت الشريعة جملة من الأعمال...كالظلم، والبغي، والزنا)** الحجة الأقل.

ج١= حرص الشريعة على تسييج الأمة وحمايتها من وقع الخطأ لا معالجته فحسب عبر تحريم عددٍ من الأعمال الإجرامية: **(ومن أعظم ما حرصت عليه الشريعة لبناء المجتمع الآمن: الحصانة، والصيانة الفكرية للأمة)** الحجة الأقوى.

ومن الملاحظ هنا تدرج الحجة التي تؤيد فكرة كمال الشريعة في تحقيقها الاستقرار المجتمعي والأمن الفكري؛ حيث إن الشريعة تحرّم وتُجرّم أصغر الأمور الإجرائية من تحريم الظلم والبغي وقطيعة الأرحام وقتل النفس، كما تنهى عن عددٍ من الأمور التي تزعزع الأمن وتنشر الفوضى، ناهيك عن تحصين الخلق من الفكر المتطرف.

قانون السلم الحجاجي

وقد اعتمد هذا السلم على قانون الخفض والقلب، أما قانون الخفض الذي يعتمد على

القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، خطبة الأمن الاجتماعي وكيفية تحقيقه، ٠١/ ٠٤/ ٢٠١٦م، https://youtu.be/lu7Wblt7ytY.

أن نفي الحجة فينتمي إلى نفي النتيجة، ويمكن تصويره على هيئة المعادلة:

ج١ ∋ ن

-ج١ ∋ -ن

وتفصيل الأمر بأنه عندما أقول: (الشريعة لا تتطلع إلى تحقيق الأمن والاستقرار)، فيكون النفي (بأن الشريعة لا تحرم الأعمال الإجرامية ولا تحرص على الصيانة الفكرية من التطرف؛ لأنها أساسًا لا تهتم بالأمن للمجتمع)، وبذلك يكون بناء السلم الحجاجي ونفيه على الشكل الآتي:

ن= من كمال الشريعة تطلّعها لتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع.

-ن= الشريعة لا تتطلع إلى تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع، وهي ليست كاملة.

ج١= تحريم الشريعة الأعمال المناقضة لأمن المجتمع **"الحجة الأقل".**

-ج١= الشريعة لا تحرم الأعمال المناقضة لأمن المجتمع "الحجة الأقل".

ج٢= حرص الشريعة على الصيانة الفكرية للأمة من فتنة الشبهات والأفكار الضالة "الحجة الأقوى".

-ج٢= لا تحرص الشريعة على الصيانة الفكرية للأمة من فتنة الشبهات والأفكار الضالة "الحجة الأقوى".

أما القانون الثاني الذي حكم السلم الحجاجي فهو: القلب، ويعتمد على" إذا كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول"[1]، ويمكن توضيحه بهذه المعادلة:

ن=أ >ب أما-ن= أ< ب

(١) اللغة والحجاج، العمدة، العزاوي، ص٢٢.

ن= من كمال الشريعة تطلعها لتحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع.	**-ن= الشريعة لا تتطلع إلى تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع، وهي ليست كاملة.**
ج٢= حرص الشريعة على الصيانة الفكرية للأمة من فتنة الشبهات والأفكار الضالة" الأقوى".	-ج٢= لا تحرص الشريعة على الصيانة الفكرية للأمة من فتنة الشبهات والأفكار الضالة."الأقل".
ج١= تحريم الشريعة الأعمال المناقضة لأمن المجتمع. **"الأقل".**	**-ج١= الشريعة لا تحرم الأعمال المناقضة لأمن المجتمع "الأقوى".**

فعند النفي تصبح الحجة الأضعف أقوى في السلم بناء على قانون القلب، فالشريعة لا تحرم الأعمال الإجرامية من المقرر حتما أنها لا تحرم الأعمال الإجرامية، وهذا أكثر تأكيدًا وأقوى من الاحتجاج بأنها أمة لا تحمي الفكر الأمني، فقد تكون الشريعة تحرم الأعمال الإجرامية، وهذا كافٍ لحد ما في نعتها بأنها شريعة تتطلع إلى تحقيق الأمن.

ثانيًا: الروابط الحجاجية: لام التعليل + الواو

وفي الحجة الأقل أتت اللام التعليلية (لذلك)، فجاء الرابط التعليلي لتسويغ الفعل الواقع، فالتعليل رتب مواضع تفيدها أدوات مخصوصة[1]، وهذا يخدم الحجاج فالأمر واقع وتسويغه واضح، والقضية المطروحة من قبل الخطيب هي: أن الشريعة حريصة على الكمال، ومنه حرصها على الأمن والسلم المجتمعي، فقد ربطت اللام التعليلية بين النتيجة والحجة الأقل لدعم النتيجة، دون إمهال للمستمع المتلقي في حق التفكير والاستنتاج، وذلك لإقناع المتلقي بهذه القضية التي يرى أهمية فرضها على المتلقي بأسبابها دون أن يلجأ المتلقي للاستنتاج.

(١) فاللام التعليلية تفيد التعليل لأمر واقع، وليس كما الباء التي تفيد التعليل قبل حدوث الفعل. ينظر: معاني النحو، السامرائي، ١/ ٨٩، ٩٠.

وجاء الرابط في الحجة الثانية بالواو العاطفة؛ حيث تعد "الواو" من أهم الروابط الحجاجية؛ إذ ليس لها دور الجمع بين الحجج فحسب، بل تقوي الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، فالواو رابط حجاجي مدعم للحجج المتساوقة أو المتساندة، وتستعمل "الواو" حجاجيا لترتيب الحجج، ووصل بعضها ببعض(١)، وبما أن الواو تدل على الجمع المطلق، فقد أضفت معنى يبين أن الشريعة تذهب إلى كل الاتجاهات لتجنب الأمة الفرقة والتشرذم.

ونرى أن الحجة الأولى تسند الثانية، فهي حجج متساندة متساوقة، وليست متعاندة، كما أنها حجج ظاهرة لا ضمنية لا يحتاج المتلقي تخمينها، وذلك يعود للام التعليل التي أظهرت الحجة، وبهذا يتبين لنا قوة السلم الحجاجي المتصاعد الذي يبدأ من أسفل إلى أعلى؛ حيث ينزل المحاجج إلى نقطة الصفر ليصعد بالقضية، مراعيًا الإقناع المبنى على التدرج من الصغير إلى الكبير.

مثال آخر

ومن هذا السلم ما ذكره خطيب الجمعة المكية **"بيان حول الفئة الضالة "داعش"**: **"داعش جماعة ظالمة مفسدة مستبيحة للدماء، جمعت بين فساد المنهج وظُلم المسلك...معاشر الأحبة لقد علم المسلمون؛ علماؤهم، وعامتهم أن أبرز صفات الخوارج، أنهم يكفرون المسلمين حتى كفَّروا الصحابة"**(٢).

(١) ينظر: مغني اللبيب في كتب الأعاريب، ابن هشام، ١/ ٦٦٥، وتجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجًا، دحما،، ٢٠١٣م، ص١٨١.

(٢) http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1436&hjmonth=10&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah
القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، خطبة بيان حول الفئة الضالة داعش،14/ ٠٨/ ٢٠١٥م، الرابط: https://youtu.be/t2FfK-RJbi4K .

تكفير المسلمين ممن شهد لهم النبي ﷺ بالصلاح والاستقامة، ناهيك عن سبهم وتكفيرهم، وهذه أقوى، وفيها دلالة على فساد منهجهم، وبالفعل أنهم جماعة دموية بحتة، لا حرمة لمن خالفهم أبدا، ولو كانوا أتقى الناس -كما ادعوا-.

ن= داعش جماعة دموية تكفيرية.

ج١= تكفير المسلمين "الأقل مكانة".

ج٢= **تكفير الصحابة** "الأقوى مكانة".

قانون السلم الحجاجي

وتظهر حجاجية قانون الخفض في هذا المثال، فمن كفَّر المسلمين فمن البدهي أن يكفِر الصحابة؛ لأنهم جزء من المسلمين.

والسلم الحجاجي تراتبي الأقوال إذا كانت من الأسفل (الأقل قوة) إلى الأعلى والأقوى؛ لكون النبي ﷺ شهد لهم وزكاهم وحذّر من سبهم، فكيف لهؤلاء أن يتطاولوا عليهم ويسبونهم.

داعش مستبيحة للدماء		داعش غير مستبيحة للدماء
تكفير المسلمين "الأقل مكانة"	**نقيض هذا السلم يكون**	لا تكفير للصحابة "الأقوى مكانة"
↓		↓
تكفير الصحابة "الأقوى مكانة		**لا تكفير للمسلمين** "الأقل مكانة"

ثالثًا: الروابط الحجاجية: أن + حتى

تبدو الروابط الحجاجية في السلم ماثلة في أن المؤكدة في قول الخطيب: (...**أن أبرز صفات الخوارج أنهم يكفرون المسلمين**)، وفي الرابط حتى وهي الحجة الأقوى (**حتى كفروا الصحابة**) جاءت بـــ"حتى"، ولكل واحدة دلالة ومواطن خاصة.

فالرابط في الحجة الأولى هنا ظاهر توكيدي (أن)[1]، واختار الخطيب الضرب الطلبي كأداة حجاجية، وهو الدرجة الثانية في أضرب الخبر[2]، وكأنه -أي الخطيب- يعلم أن من المتلقين من هو مشكك في ضلال داعش وأفعالهم؛ ليؤكد -بمساعدة الرابط الأول- ما تم ذكره في القضية، وهو النتيجة الدالة: على دموية داعش؛ لتأتي (حتى) في سياق الحجج القوية، ويكون ما بعدها؛ إما للتحقير، وإما للتعظيم أو لشيء أشد من السابق كما في الخطبة، ففعلهم الأكبر هو تكفير الصحابة، وهذا يجعل المتلقي الخصم يعيد النظر، بل يستيقن ضلالهم، فتكفير المسلمين أمر محرم قطعًا، لكن قد يتسلل إلى الذهن أن هناك من يدعي الإسلام كما في

(١) مغني اللبيب، ابن هشام، ١/ ٨٨.
(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ١/ ١٠٢.

حال المنافقين، أما تكفير الصحابة فأمر مرفوض قطعًا، وبهذا يكون حصار حجاجي صنعته حتى) وما بعدها على الشاك والمنكر والجاهل؛ لتؤكد القضية المحاجَج عنها، "فيكون من أحد أجزاء المعطوف عليه أَن يكون غاية للمعطوف عليه سواء في الرفعة أَو الضعة"(١)، فالصحابة جزء من المسلمين، وهم أرفع قدرًا منهم، فيكون الرابط الحجاجي مترابطًا ومتدرجًا في إيصال السياق الحجاجي إلى قناعة المتلقي.

توظيف السلالم الحجاجية التنازلية في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي

هذا النمط من الحجاج يسير على العكس من النمط الأول؛ حيث يبدأ المتكلم بطرح حججه تنازليًا؛ أي: بدءًا من الحجة الأقوى، وصولًا إلى الحجة الأضعف في سلم الخطاب، وكثيرًا ما يلجأ المحاجج إلى هذا النمط عندما يشعر أن البدء في الحجج الضعيفة قد يواجه بردٍ من المتلقي الخصم بحجة أقوى؛ لذا يبدأ كلامه مدافعًا عن الوجهة التي يريدها، وهذا يقيد المتلقي الخصم، ويحجِّم من نقاشه، ويجعله آخذًا بطريق القبول لما قاله المحاجج، لا سيما إذا كان هذا المتلقي الخصم عنيدًا محاججًا شاكًا أو مشاكسًا لا تنفع معه البدايات الضعيفة(٢).

مثال:

في خطبة «**بيان حول الفئة الضالة "داعش"**» قال: **"ومن تأمل مروغاتهم وانحرافهم في الفتاوى والمسوغات أدرك ما يحملونه على أهل الإسلام من كره وحقد وبغضاء.**

معاشر المسلمين

(١) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ١/ ٢٤٤، ٢٤٥، وتجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجًا، دحما، ص١٧٧)، ومعاني النحو، السامرائي، ٣/ ٣٥.

(٢) الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري أنموذجًا دراسة تحليلية، قادا، ص٣٧٣، وينظر: السلالم الحجاجية في شعر الوائلي، جدوع، جباري، مجلة أوروك، العدد ٢، ٢٠١٦م.

إنهم يزعمون أن من خالفهم أو قاتلهم فقد أتى ناقضًا من نواقض الإسلام، وخرج عن الملة، ونصُّ عبارتهم الرسمية تقول: "من قاتلنا فقد كفر" يقولون هذا وهم يزعمون أنهم يحكمون بما أنزل الله، ومن تلبيستاهم قولهم: "لا يفتي قاعد لمجاهد" سبحان الله! إن جاذبية اللفظ أضلتهم عن فساد المعنى؛ إذ لم يقل أحد من علماء المسلمين هذا"[1].

فالنتيجة "ن"= انحراف فتاوى داعش؛ مما يدل على حقدهم على المسلمين وكرههم إياهم.

ج١= من قاتلهم فقد كفر، وأن ذلك من الشرع.

ج٢= فتواهم بعدم الأخذ بفتوى من لم يكن مجاهدًا "لا يفتي قاعد لمجاهد".

فالحجة الأولى أقوى وأكبر حجمًا من الحجة التي احتج بها في الثانية، فالتكفير أشد قوة؛ لأن نواقض الإسلام معلومة ومحدودة، أما الحجة الثانية فهي أضعف؛ كونها لا تمس شيئا معلومًا وظاهرًا، فالخروج من الملة أكبر ذنبًا وحدثًا من فتوى القاعد للمجاهد أو العكس، إلا أن الخطيب رد عليهم بأن علماء الإسلام الذين أفنوا عمرهم في الفتوى لم يكونوا في كل الأوقات بل أغلبها في جبهات الحروب، وبذلك يكون الخطيب قد بدأ بالأقوى حجة؛ لما لها من مخاطر أكثر، فإذا أذعن المتلقي لهذه الحجة التي تقنع سريعًا فسيسُلم للثانية؛ لأن حرمة التكفير معلومة للغالبية، فمن السهل إذعان المحاجج للحجة الثانية؛ لتيقنه بأن هؤلاء حرفوا كبائر الأمور فكيف بفروعها.

وبهذا الحجاج نرى أن السلم الحجاجي أُبتني على تبديل السلم، وهو النفي:

(١) http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1436&hjmonth=10&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah.
القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، خطبة بيان حول الفئة الضالة داعش، ١٤/٠٨/ ٢٠١٥م، الرابط: https://youtu.be/t2FfK-RJbi4K

"ن"= انحراف فتاوى داعش ومراوغاتها تظهر حقدًا على المسلمين.

"-ن"= فتاوى داعش لم تكن منحرفة، فلم يكن بها حقد على المسلمين.

ج١= من قاتل داعش كفر، وهذا مناقض للشرع -ج١= لا يكفر من قاتل داعش، وهذا غير مناقض للشرع.

ج٢= من فتوى داعش لا فتوى لمجاهد من قاعد -ج٢= داعش لا يفتي بفتوى لا فتوى لقاعد لمجاهد.

ف-ج١ و-ج٢ تنتمي لـ"-ن"

ليتضح أن هذه الاستراتيجية بدأت بالأثقل والأكبر لدحض الخصم دون أن تقوم لها قائمة حتى لو حاول رد القول بأن فتاوى داعش منحرفة وضالة، فبدأ بالتكفير؛ لأن التكفير معلومة شروطه، وأثره كبير؛ لما يجره من الويلات، فهو إخراج من الملة.

رابعًا: الروابط الحجاجية: (إن+ الواو)

نجد أنَّ الرابط هنا جاء حرف توكيد "إن"؛ ليقضي على حجة المتردد في ضلالة داعش والشاك في ذلك (إنهم يزعمون)؛ ليسبق هذه العبارة نداء بكلمة معاشر المسلمين، وهذه التفاته ذكية، فنعتهم بالمسلمين يرتبط بالحجة الأقوى، وكأنه يقول لهم محاججًا في سياق إخباري طلبي: (إنهم يزعمون): بأن هذه الصفة، وهي صفة الإسلام التي تفتخرون بها، ينفيها داعش عنكم، فهو يكفركم، وهذا يدفعهم للتبرؤ من داعش، وكأنه يقول: إن تنظيم داعش يجردكم من صفة الإسلام، فلم التردد في التبرؤ وتكذيب داعش وأفعالها. "فالنداء يُعد توجيهًا وتحفيزًا للمرسل إليه؛ ليأخذ ردة فعل تجاه المرسل المحاجج"(١)، وزاد على ذلك أنه أتى بالنداء في "يا معاشر" للفت انتباه المتلقي إلى أهمية مضمون الرسالة؛ من حيث إنها

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، الشهري، ص٣٦٠.

مخصوصة فيهم لا لغيرهم؛ ولذلك فالنداء أسلوب حجاجي بامتياز هنا، وهو من باب تهيئة المتلقي للتوجيهات تهيئة نفسية مناسبة تجعله يتقبلها في ضوء تبني رأيٍ ما، واتخاذ قرار ما تحت رقابة العقل وتوجيهاته وسطوة العاطفة ومستلزماتها(١).

أمَّا الرابط الثاني (الواو) فبعد أن جعل الرابط هنا أداة توكيد ثم قطعها بنداء صفة الإسلام، أتى بحرف العطف الدال على الجمع المطلق، وكأنه يقول: إن فتاواهم الضالة كثيرة يصعب حصرها؛ لـــ"يقوم الرابط الحجاجي الواو بوصل الحجج بعضها ببعض مع ترتيبها حجاجيًا؛ بحيث كل حجة تزيد في قوة الحجة الأخرى"(٢).

وبعد هذه المحاججة، نجد أن الخطيب لا يبتعد عن القضية والنتيجة التي حاجج بها، وهي انحراف فتاوى داعش؛ ليرفع سقف الاتهام، وكأنه -أي الخطيب- استيقن بأنه ظفر في المحاججة الأولى؛ ليذكر القضية الأخرى بأن داعش تجاوز في الضلال ضلال الخوارج؛ لأنه أتى بما لم يأتوا به، وهو الكذب.

وفي مثال آخر

لهذا النوع من الحجاج من هذا السلم، قال الخطيب المكي في خطبته المعنونة (**بيان حول الفئة الضالة داعش**): "**ومما انفردت به داعش السالكة مسلك الخوارج، مما لم يؤثر عن الخوارج، انفردوا بامتطاء مطية الكذب، فما روي جماعة أكذب لغة، وأفسد منهجًا من هؤلاء سبابًا ولعانًا وتقلبًا، بل ما روي جماعة أكثر افتراءً من هؤلاء...ولقد برزت هذه الفضائح**

(١) ينظر: آليات الحجاج البلاغي لوصايا الحكماء في العصر الجاهلي مقاربة تداولية، الغرابية، العمري، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية غزة، فلسطين، مجلد ٢٧، العدد: ٣، ص٢٠٣، وينظر: منزلة العواطف في نظريات الحجاج، عبيد، عالم الفكر، الكويت، مجلد: ٤٠، العدد: ٢ ديسمبر ٢٠١١م، ص٢٤٠.

(٢) الحجاج في الخطاب النبوي أحاديث العبادات والمعاملات أنموذجًا، العايش، ص٣٤.

والأكاذيب من بياناتهم الرسمية المتناقضة، حتى دعوا للمباهلة والملاعنة، كما فضح ذلك من أنقذه الله منهم، هذا لفظه ومنطوقه يكفرون كل من قاتلهم اليوم، وقد باهلوا ولعنوا أنفسهم بالأمس.

ومن تناقضاتهم وأكاذيبهم: زعمهم أنهم لا يكفرون كل من خالفهم وباهلَ على ذلك ناطقهم الرسمي، وجعل لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم لم يمضِ عام على هذا الزعم حتى نكص وفضحه الله بأن أعلن بقوله: واحذر فإنك بقتالك الدولة الإسلامية تقع في الكفر من حيث تدري أو لا تدري ... ومن كذبهم وتناقضهم أنهم يدّعون حرمة استهداف أسواق أهل السنة ومساجدهم وحرمة مصاحفهم في أيمان مغلظة، ويقولون: إن تفجير مساجد أهل السنة من أعظم البوائق، هذا هو تعبيرهم، بل كان من اتهامهم بعض الدول وتكفيرهم لها أنهم يحرقون المساجد والمصاحف، وهاهم ينكصون ويتبنون بكل جرأة تفجير مسجد قوات الطوارئ"[1].

"ن" كذب داعش وسوء منهجهم.

ج١ = اعتمادهم على الكذب حتى غلبوا الخوارج.

ج٢ = إعلانهم عدم التفكير وهم يكفِّرون.

ج٣= تحريمهم تفجير المساجد وهم يفجِّرون.

ج٤ = تفجير مسجد الطوارئ.

---

(١)

http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1436&hjmonth=10&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah.

القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، خطبة بيان حول الفئة الضالة داعش، ١٤/ ٠٨/ ٢٠١٥م، الرابط: https://youtu.be/t2FfK-RJbi4K

في هذا المثال والذي قبله، نرى أن الخطيب أخذ يقارن بين عباراتهم وأفعالهم، وهذه أكبر رادع لمن يدافع أو يتعاطف مع داعش، فقد أتى بدلائل من وسط داعش ذاتها وبلسان متحدثها، وهي حجة مبنية على شبه المنطق من التناقض والتعارض بين ما يدعيه الخصم وبين واقعه، وفي هذا الباب ما يعتمده المحاجج من حجج الخصم وإثبات أنها في حقيقة الأمر تناقض بين ما يذهب إليه وبين ما يدعي، وهو ما يعبر عنها "بقلب البرهان على صاحبه"[1].

قانون السلم الحجاجي

وقد حكم هذه المحاججة قانون النفي، وبيانه كالآتي:

"ن" " كذب داعش وسوء منهجهم. "-ن" منهج داعش غير قائم على الكذب، كذلك منهجه.

ج١= تناقض داعش وكذبهم. "-ج١"= داعش غير متناقضة ولا كاذبة.

ج٢= إعلانهم عدم التكفير وهم يكفرون. "-ج٢"= عدم إعلانهم التكفير، فهم لا يكفرون.

ج٣= تحريمهم تفجير المساجد وهم يفجرون. "-ج٣"= لا يحرمون تفجير المساجد، فهم لا يفجرون.

ج٤= تفجير مسجد الطوارئ. "-ج٤" لم يفجروا مسجد الطوارئ.

-ج١ و-ج٢-ج٣ و-ج٤ تدعم: "-ن"، ونلحظ أن في الحجة الواحدة نفيًا وإثباتًا كما في (-ج١ وج١)، (-ج٢و ج٢)، و(-ج٣، ج٣)، و(ج٤،-ج٤)؛ فحينما تثبت التفجير مثلًا تنفي عدمه.

خامسًا: الروابط الحجاجية

أفعل التفضيل+ بل لتربط بين جمل الحجة الأولى +بل تربط بين جمل الحجة الثالثة:

(١) الحجاج في الشعر العربي أساليبه وبنيته، الدريدي، ص١٩٦.

دعم الخطيب حجاجه في الحجة الأولى بصيغة صرفية ذات بعد دلالي حجاجي، فأفعل التفضيل توظَّف في مقام الحجاج المقارن وإطلاق المفضل على المفضل عليه، وهكذا تسهم بنية التفضيل في تدعيم موقف المتكلم، وحمل المُتلفظ في تدعيم موقف المتكلم، وحمل الآخر المتلفظ إليه على مشاركته، وهي متعلقة باستمرار الصفة ودوامها [١] في القضية المراد المحاججة بها، وهي تؤصل الكذب في الفئات الضالة داعش، وإن شاركهم الخوارج في ذلك، غير أنهم تفوقوا عليهم في ذلك. فشأن التفضيل شأن الصفة المشبهة في الدلالة على الدوام والاستمرار والاعتراف بثبوت المعنى المجرد "لصاحبه في كل الأزمنة ثبوتًا تامًا؛ أي الاعتراف بتحققه ووقوعه شاملًا الأزمنة الثلاثة المختلفة"[٢]؛ مما يجعل أفعل التفضيل في عبارة الخطيب: **"أكذب لغة، وأفسد منهجًا من هؤلاء سبابًا ولعانًا وتقلبًا، بل ما روي جماعة أكثر افتراءً من هؤلاء"** متلفظة بحجاج قوي بني على المحاجج فيهم، وهم ذات الدواعش وعلى الآخرين وهم الخوارج، ليأتي الرابط الثاني "بل" رابطًا بين جمل هذه الحجج "بل ما روي جماعة أكثر..."؛ لتضفي بُعدًا دلاليًا آخرًا، فـ"بل" معناها الإضراب[٣]؛ لنراه هنا إضرابًا انتقاليًا، فقد انتقل من تعميم القول إلى تخصيصهم بالافتراء دون غيرهم؛ ليدعم الحجة ويقويها، فهو لم يبطل عن داعش تهمة ما قبل "بل"، بل ليؤكد انغماسهم بالكذب والافتراء، وتشرّبهم إياه.

وأما الرابط الثالث فنجد أن الحجة الأقوى (إعلانهم عدم التكفير وهم يكفرون) أتت بدون رابط، بل في جملة مستقلة؛ مما يكسبها قوة ورنينًا في أذن السامع المتلقي، "وقد ذكر (فان ديك) أن الجمل قد ترتبط، وقد لا ترتبط، فالروابط لا تقترن بالمحتوى الدلالي للأحداث

(١) ينظر: الذات والآخر أنموذجًا، جعفورة، ص١٢٦.
(٢) ينظر: النحو الوافي، حسن ، ٣/ ٢٨٢.
(٣) ينظر: مغني اللبيب، ابن هشام، ١/ ٢٢٠، ٢٢١، معاني النحو، السامرائي، ٢/ ٢٥٧، ٢٥٨.

والقضايا فقط، بل بالسياق التداولي"[١].

أمَّا الرابط الرابع بين الحجة الأولى والثانية، وبين الثانية والثالثة والرابعة، فقد كان "الواو"، ولا يخفى ما دلت عليه الواو من الجمع المطلق، فالحجج المترادفة قد اتسقت واتحدت باتجاه دعم النتيجة المطروحة وتقويتها برابط "الواو" كما اشتغل الرابط على التراتبية وإدراج الحجج بشكل عمودي، فبعدما ذكر حجة احتجاجهم على الحكومات والدول بأنها تفجر المساجد، جاء بحجة وواقعة تبنوها، وهي تفجيرهم لمسجد الطوارئ الخاص بقوات الأمن السعودية في عام ٢٠١٦م[٢]؛ لتعارض ما ادعوه بأن محرم ومجرّم على غيرهم، وهذا من محاججة الخصم بما يعتقده، ولا شك أنها تقوي المحاججة وتلزم الخصم وتفحمه.

غير أنَّ "بل" التي أتت عاطفة في الحجة الثانية أكسبت الحجة الثانية بُعدًا دلاليًا آخرًا، فـ"بل" معناها الإضراب؛ لنراه هنا إضرابًا انتقاليًا؛ إذ انتقل من تعميم القول إلى التخصيص ليدعم الحجة ويقويها، وهو لم يبطل عن داعش التهمة الأولى ليثبت عنها ما بعد "بل" التي أفادت التوكيد، وأثبتت التناقض لديهم، ونفت مصداقيتهم فيما ادعوه من حرمة المساجد، وزاد بأن انتقل إلى كيفية اتهامهم لغيرهم بما يقترفون من جرائم، بشاهد من أفعالهم التي أعلنوا مسؤوليتهم عنها، وهي تفجير مسجد الطوارئ، وفي هذا ارتقاء بأسلوب الحجاج الذي أثر على السلم الحجاجي.

نلحظ أن الحجاج وفقًا للقانون التنازلي يمثل استراتيجية خطابية، فالمتلقي إذا أذعن للحجة الأقوى أصبح من اليسير أن يسلم للحجة الأقل قوة، ثم التسليم للحجة الأقل[٣].

وبين هذه المحاججة والأخرى في المثال السابق، ترابط في القضية؛ حيث إن الأولى

(١) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، ختام، ص١٥٥.
(٢) https: //arabic.cnn.com/middleeast/2016/01/31/saudi-mosque-explosion-investigation.
(٣) الحجاج في الشعر العربي أساليبه وبنيته، الدريدي، ص ١٩٦.

تتحدث عن ضلالهم في الفتاوى وترد على الشاك والمنكر وتعلم الجاهل عن فتاواهم، في حين أن الأخيرة تبين أن كل ذلك الضلال في الفتاوى نابع عن امتطائهم الكذب وتجرؤهم عليه، وهذا رابط محكم يدل على براعة الخطيب وذكائه الحجاجي.

مثال آخر

ومن هذا الخطاب الحجاجي التنازلي نرى ما ذكره الخطيب المكي في خطبته **"التعايش والوفاق في المجتمع المسلم"**؛ إذ قال: **"لقد كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يرون الاجتماع من أعظم الخيرات وأكبر الصالحات؛ لذا تراهم قد ائتموا بكل من حقت لهم الإمامة، يقول الإمام ابن حزم- رحمة الله عليه-: "وما امتنع قط أحد من الصحابة-رضي الله عنهم- ولا من خيار التابعين من الصلاة خلف كلِّ إمام صلَّى بهم حتى خلف الحجاج بن يوسف وحبيش بن دُلجة ونجدة الحروري والمختار بن أبي عبيد، وكل متّهم بالكفر، والمسلمون يرون أن من صلى صلاتهم، واستقبل قبلتهم، وأكل ذبيحتهم فهو منهم، والسرائر إلى الله، والحساب على الله، فلا شقّ عن القلوب، ولا غلٍّ على سابق بالإيمان، ولا تفريق بين المسلمين بالأسماء والألقاب، ولو كانت أشرف الألقاب والأسماء مثل المهاجرين والأنصار، وإنما تقال على سبيل الثناء والتأليف والتعريف"**[1].

ن= لقد كان الصحابة-رضوان الله عليهم- يرون الاجتماع من أعظم الخيرات وأكبر الصالحات.

(١)

http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1437&hjmonth=0.5&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah

القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، خطبة التعايش والوفاق في المجتمع الإسلامي، https://youtu.be/twMOWEY93nk ٢٠١٦/٠٣/٠٤

ولا أدل من ذلك ما ورد في الحجج:

ج١= قبول إمامة حتى في مَن شك بصلاحه "الأقوى".

ج٢= إن من أدى العبادات فهو منهم، والحساب على الله" "الأقل قوة".

فالصلاة عمود الدين، وأقوى العبادات فكيف يتقبلون من يؤمهم بالصلاة وهناك شك في عقيدته، ولا يقبلون بمن أدّى العبادات الباقية.

قانون السلم الحجاجي

وقد بني هذا الحجاج على قانون تبديل السلم بالنفي، فإن:

ن= لقد كان الصحابة-رضوان الله عليهم- يرون الاجتماع من أعظم الخيرات وأكبر الصالحات.

- ن= الصحابة-رضوان الله عليهم- لا يرون الاجتماع من أعظم الخيرات وأكبر الصالحات.

ج١= يقبلون إمامة من شك في صلاح دينه "الأقوى".

-ج١= لا يقبلون بإمامة من شك في صلاح دينه.

ج٢= إن أدى العبادات فهو منهم، والحساب على الله "الأقل قوة".

-ج٢= لا يكون منهم من أدى العبادات مالم يكن سليم العقيدة.

ويمكن تشكيل هذا السلم على شكل هذه المعادلة:

-ج١+-ج٢= -ن، مثل ج١+ج٢=ن، فنلاحظ أن سالب الحجة يخدم سالب النتيجة، وعليه يقوم السلم الحجاجي في إيجابها.

سادسًا: الروابط الحجاجية: اللام+ حتى + الواو

ويتنوع استعمال هذه الروابط لتؤدي دورها في الخطاب الحجاجي، فالرابط الأول لام التعليل، وقد استعمله الخطيب من أجل التسويغ أو التعليل لفعله، فهو نتيجة الدعوى التي

يقصدها من حرص الصحابة -رضوان الله عليهم- على اجتماع الأمة؛ ولذلك ربطت لام التعليل في" لذا" بين النتيجة والحجة، ولعل في ابتدائه برابط التعليل في الحجة الأقوى جعلت الخطيب لا يعطي المتلقي فرصة للاعتراض ليبين الحجة بالتعليل، دون ترك مساحة سياقية أو لفظية لطرح تساؤل الطرف المتلقي.

وقد استعملت "حتى" لربط تفصيل الحجة الأولى عبر ضرب المثل، ولا يخفى أن ما وراء "حتى" جاء متصلًا بما قبلها، وذكر ما بعد "حتى"؛ لكونه الأظهر والأوضح من أمثلة؛ لتقنع من جهل أو شك في كفرهم، فقد صلى وراءهم أئمة الإسلام، فما بعد الرابط "حتى" يأتي غالبًا لبيان الأقوى والأعظم والأظهر كما نص النحاة، فقد رتب الخطيب المحاجِج حججه عبر الرابط "حتى" بما يتناسب مع الرابط الحجاجي الموظف[1]، فحتى كما ذكر أحد المعاصرين: "أنها مثقلة بحمولة حجاجية"[2]، فكيف إذا جاءت مرتبطة وعاطفة على رابط حجاجي سابق وهي اللام التعليلية، فبعد تعليل الخطيب، استدعى "حتى" التي تدل على تواصل السابق باللاحق؛ حيث إن اللاحق يُعد أقوى الأمثلة التي تثبت الحجة الداعمة لفكرة حرص الصحابة والتابعين على اجتماع الأمة.

أمَّا الرابط "الواو" العاطفة على الحجة الأولى فكما ذكرنا بأنه يدل على الجمع المطلق والانفتاح، وكأنه يقول: إن أي فعل فيه معصية يجب ألّا يفرق شمل الأمة، لنجد أن هذه القيمة الحجاجية التنازلية المطروحة تتناسب مع القضايا الشائكة، كالتي يكثر فيها التلبيس باسم الدين كما في أفكار داعش؛ حيث أُلبس على الكثيرين، لذلك نجد خطيب الجمعة المكية يلجأ إلى الحجاج ذي السلم التنازلي.

(١) معاني النحو، السامرائي، ٢/ ٣٤، ٣٥.

(٢) ينظر: التداولية أصولها واتجاهاتها، ختام، ص١٥٥.

أثر السلالم الحجاجية التراكمية في تعزيز الأمن الفكري والسلم المجتمعي

كما سبق أن ذكرنا بأنها الحجج التي "تتعدد دون مراعاة لمبدأ التدرج من الأقوى إلى الأضعف أو العكس دون مراعاة للتفاوت الحاصل في القوة التدليلية لتلك الحجج، فكل حجة تكون أقوى وأكثر فعالية في اللحظة التي تستعمل فيها، وهو أكثر عفوية وتلقائية من النوعين السابقين"(١). وعليه، فهي لا تحتاج إلى روابط أو قوانين تحكمها.

مثال

ما ورد في الخطب المكية من الحجج التراكمية التي تعزز الفكر الأمني والسلم المجتمعي ما قاله الخطيب المكي في خطبته المعنونة بـ**"الوعي والحذر": "إن المجتمع المسلم إذا جعل للوعي حظوة، وكان من أولوياته فلن يخفق -بأمر الله- في الأزمات؛ إذ يعرف متى يرفع بصره حينئذ، ومتى يرخيه، ويعرف مصلحة دفع الأخطار قبل وقوعها، وأنها أعلى وأولى من رفعها بعد الوقوع"**(٢).

القضية والنتيجة التي يحاجج بها الخطيب هي: أن ارتفاع الوعي لدى الأمة يجعلها حسنة التصرف.

ج١ = متى تنظر في الأمر، ومتى تغمض عينيها عنه وتتجاهله؟

ج٢=تدفع وتتقي الخطر قبل وقوعه.

(١) ينظر: الحجاج في الخطاب السياسي، قادا، ص ٣٧٤، وآليات الحجاج وأدواته، الشهري، ١/ ٩٨.

(٢)
http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1437&hjmonth=0
.3&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah
القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، خطبة الوعي والحذر ٠٨/ ٠١/ ٢٠١٦،
https://youtu.be/Y1EJeE1LyoQ

من الملحوظ أن الحجتين ليستا من مجموعة واحدة متسلسلة، والدليل ألا تفاضل بينها؛ فالأولى تتحدث عن المجتمع المسلم الحذر الذي يعرف متى يتجاهل بعض الأمور؛ تجنبًا لوقوع مصيبة، وهو من باب معالجة الأمر، والأخرى تتحدث عن المجتمع الحذر الذي يتقي المصيبة قبل وقوعها، ولو ذكر في الأولى أنها تحل المشكلة لقلنا بأن السلم هنا تصاعدي؛ حيث إن دفع البلاء قبل وقوعه يدل على وعي أكبر من حل المشكلة، فدرجة الوعي بين الحجة الأولى والثانية يشير إلى ألا مجال للتفاضل بينهما؛ لذا يمكن الفصل بينهما وعَدّ كل واحدة منهما حجة لذاتها.

ومن الملاحظ أنَّه استعمل في الحجة الأولى لازم الصفة دون ذكرها في اتكاء على انزياحات اللغة، وهي الكناية "كناية الصفة"(١) التي تترجم كثيرًا من المعاني المحملة بقوة الحجة، فصفة غض الطرف هي صفة تستعمل للتغاضي من أجل عدم وقوع المشكلات، ولا شك أن هذا متى استخدم في موضعه كان حرزًا للأمة أن تقع في مشكلة أكبر.

مثال آخر

في خطبة **"نصرة الإسلام بالعمل والدعوة إليه"** قوله: **"ومع هذا فهناك مثبطات وعوائق قد تكون سببًا في عدم مشاركة المسلم في نصرة الدين، فمن شعور المرء بتقصيره وأن عنده ذنوبًا ومعاصيَ تمنعه من أن ينصح غيره أو يأمر وينهى، وهذا خطأ؛ ولذلك قيل للحسن البصري: إن فلانًا لا يعظ، ويقول: أخاف أن أقول مالا أفعل، قال الحسن: "وأيّنا يفعل ما يقول ودَّ الشيطان أنه ظفر بهذه الكلمة منكم، فلم يأمر أحد بمعروف، ولم ينه عن منكر". ومراد الحسن -رحمه الله- أنه ليس شرطًا أن كل من أمر بشيء من المستحبات أو نهى عن شيء من المكروهات أن يعمل به، وأن العاصي لا يُعفى من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة التقصير في العمل أو الوقوع في المنكرات.**

(١) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ٢/ ٤٧٧ - ٤٧٨.

إذا لم يعِظ في الناس من هو مذنبٌ فمن يعظِ العاصين بعد محمدٍ ﷺ فلا نترك -عباد الله- واجبنا من النصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجة التقصير والعصيان، وقد قيل: حقًا على شاربي الكؤوس أن يتناصحا، وإذا لم يتناصحا فالذنب ذنبان والإثم إثمان: إثم شُرب الخمر، وإثم ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولتقريب المسألة، أرأيتم لو كان الطبيب يشكو علة في جسده في عضو من أعضائه ألا يستطيع أن يعالج غيره من المرضى؟

يستطيع أن يتعرف على أمراضهم ويصف العلاج، وقد يشفى بعد ذلك من يُشفى -بإذن الله-...ومما يؤيد هذا المعنى الذي قد يغفل عنه بعض الناس: قوله ﷺ "إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر... وفي هذا إشارة إلى أن العاصي والفاسق ينبغي ألا يحتجوا بسبب عصيانهم بعدم العمل لهذا الدين"(١).

ونلحظ هنا أن النتيجة هي: قضية أنَّ نصرة الدين واجبة على جميع أفراد المجتمع حتى المقصر والمذنب.

ج١= البيت الشعري المؤكد لما ذكر في القضية عبر مقايسة الحال بألا أحد كامل.

ج٢= قول الحسن البصري بأن النصيحة تلزم العاصي والمذنب.

ج٣ =عبر وصف ومقاربة وصفية منطقية لحال الطبيب المريض الذي يعالج المرضى.

ج٤= الحديث النبوي.

---

(١)

http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&audiotype=khutbah&bro
.wseby=khateebaudio&placeid=1&display=all&page=2

القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، خطبة نصرة الإسلام بالعمل والدعوة إليه، ٠٦/ ١١/ ٢٠١٦م، https://youtu.be/4YOizRZhtY4

نلحظ أن الحجج الأربع منفصلة، ويمكن عزلها عن أقرانها وتقديمها وتأخيرها، وقد استدعى المحاجج ما يسمى في الحجاج بالشواهد الجاهزة[١]؛ ليكتسب السياق قوة وهالة قدسية، فالحجاج بالشاهد يسعى إلى إثبات قاعدة؛ إذ يبحث انطلاقًا من حالة خاصة عن القانون والبنية التي تكشف عنها هذه الحالة. إن الحجاج بالشاهد يرفض عدَّ الحالة الخاصة المُثارة معزولة ومرتبطة بالسياق الذي سيقت من أجله، بل يسعى إلى المرور من حالة خاصة إلى قاعدة عامة[٢].

فبيت الشعر عزَّز من أن النصيحة في الدين أيًّا كان قوة إيمان الشخص الناصح، لا تعتبر هذا حالة خاصة، بل تعمم في الدين، وقد أسهم الشاهد في ترسيخها، ومما ينطبق أيضًا على الحجة الثانية قول الحسن، وينطبق على الرابعة ممثلة في استدعاء الحديث النبوي. فالتمثيل يوسع امتداد الحجاج عبر الحامل والسياق النصي، ويضعه في إطار مفهوم عام[٣]، كما أن التفاعل بين الشاهد والسياق المستدعى له ينتج عنه قوة حجاجية عبر انصهار تناصي بين سياقين جمعتهما ظروف متشابهة.

أمَّا الحجة الثالثة فهي تعرض منطقًا من الواقع عبر ضرب المثل بالطبيب المريض الذي يعالج المرضى، فهو يفنّد أن من فقد الشيء لا يمنع من أن يعطي ما فقده، كما هو حال هذا الطبيب، فقد استخدم الدليل الجاهز المحاط بقدسية العقل، والواقع المبني على عقل منطقي يفهمه الجاهل والعالم، وكأنه أراد أن يحور حجته على اتجاه التلقي لبدهية المُتلقَّى، فحجته

(١) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، الشهري، ص٥٣٧.
(٢) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، بنو هاشم، ص٨٣، ٨٤، وينظر: في نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات، صولة، ص٥٧.
(٣) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، بنو هاشم، ص٨٣، ٨٤، وينظر: في نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات، صولة، ص٥٧.

مليئة بالحقائق والتفكير والاستنتاج؛ مما يُدعم النتيجة التي أراد الخطيب أن يقنع بها المتلقي، فـ"المثال يستخدم لتوضيح قاعدة معروفة ومسلّم بها؛ أي ليعطيها نوعًا من الحضور في وعي المستمع، فلهذا يستهدف المثال المخيلة، في حين يكون الشاهد لحقيقة أكيدة وغير مجادل فيها"(١). والكلام ذاته في بيت الشعر الوارد، فصورة الطبيب المريض، وقدرته على علاج المرضى، أحضرها الخطيب لوعي المستمع.

كما لا ننسى أن نوضح أثر الاستفهام التقريري وذلك عند قول الخطيب: **"أرأيتم لو كان الطبيب يشكو علة في جسده في عضو من أعضائه ألا يستطيع أن يعالج غيره"**. فنراه يحمل المستمع المتلقي على الإقرار بما يريده المتكلم(٢)، وهو يحمل حجة مضمنة مفادها ما أقره المثال المضروب من أرض الواقع، وهو أنه لا يمنع الطبيب المريض أن يعالج المرضى، وقسْ عليه أن يقدم النصيحة المقصر والمذنب، فالحجة هنا اعتمدت على الاستفهام التقريري حسب ما يقتضيه الاستلزام الحواري، فالأسئلة أشد تأثيرًا وإقناعًا على المرسل إليه، وكأن المرسل يدرك بأن المرسل إليه لا يخالفه؛ ولذلك كانت الإجابة من المسلمات التي يتفق عليها الطرفان وإلا ما كان المرسل المحاجج ليلجأ إلى الاستفهام بدلًا من الأسلوب التقريري المباشر، فالمضمون واحد، ومع أن الاختلاف في طريقة العرض، غير أن لهذا الاستفهام التقريري في الاختلاف التداولي وفي الحدس قوة حجاجية تؤثر على مدى استجابة المرسل إليه لما يريد أن يقنعه المرسل، وإن كان المرسل غير جازم بتعاون المرسل إليه الخصم، فمعرفة المتكلم بموافقة المخاطب أو رفضه هي من باب التوقع، وتختلف درجة هذا التوقع حسب معرفة الطرف المحاجج بمحدِّثه(٣).

(١) نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، بنوهاشم، ص٨٤، ٨٥ .
(٢) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ، القزويني، ١/ ٢٥١.
(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، الشهري، ص٤٨٤، ٤٨٥.

ولما كان الخطيب المكي ملمًّا بتعددية جمهور الخطبة؛ كان توقعه بوجود المستمع العادي والمثالي والمؤمن بالفكرة والمنكر لها والشاك بها؛ لذلك آثر أن يتبعها بمثال عملي يفهمه ويعلمه الجاهل والمتعلم. ومن هنا أرى بأن ضرب المثال أقوى تأثيرًا من الاستفهام؛ حيث القوة الحجاجية على عكس الشاهد التالي المعتمد اعتمادًا كبيرًا على الاستفهام المدعم بالتكرار المعنوي.

مثال آخر

في الخطبة ذات العنوان **"بيان حول الفئة الضالة داعش"** قال الخطيب: **"ما ذا سيفعل هؤلاء القتلة بـ"لا إله إلا الله" إذا جاء صاحبها يوم القيامة؟ ما سيفعلون بتكفير المسلمين؟! وماذا سيفعلون بتفريق الأمة؟ وماذا سيفعلون بالتمكين للأعداء؟! وما سيفعلون بضياع الشباب؟! حسبنا الله ونعم الوكيل، حاذر بنيّ -وقاك الله- حاذر أن تخاطر بنفسك"**(١).

نلحظ هتحفينا تقنية التكرار المبنية على الحجج المتراكمة من سوء مصيرهم؛ نتيجة اقترافهم تلك الذنوب، مدعمة باستفهام إنكاري تعجبي يجعل من نبرة اللوم والتقريع شديدة اللهجة؛ مما يكسب السياق الحجاجي رصانة وقوة تجعل الطرف الآخر يعيد حساباته وقناعته. وقد لجأ إلى الاستفهام الطلبي بدلًا من التعجبي غير الطلبي؛ لأن في الاستفهام مزية لا تتوافر في السياق التعجبي، فالاستفهام التعجبي يصنع حوارًا خفيًا في الطرف الآخر نفسه؛ ليبادر في إجابة مفادها الإقناع الذي توصل إليه، فلا يخفى على أحد أثر الحوار

(١)
http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1436&hjmonth=10&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah..
القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، خطبة بيان حول الفئة الضالة داعش، ١٤/ ٠٨/ ٢٠١٥م، الرابط: https://youtu.be/t2FfK-RJbi4K

النفسي في رجوع العقل إلى صوابه، ففي الاستفهام حجاج مضمر مُضمن أكسبه التكرار حجاجًا ظاهرًا.

فالقضية= سوء المصير، وعظم الذنوب المرتكبة من قبل الفئة الضالة؛ لشناعة أعمالهم وفداحتها.

ج١ = قتلهم للمسلمين.

ج٢= تكفير المسلمين.

ج٣= تمكين أعداء الأمة.

ج٤= إغواؤهم لشباب الأمة وتضييعهم.

وهذه الأربعة تؤكد شناعة أفعالهم وضررها على الأمة، وقد هيأ هذا التكرار للإقناع؛ لدلالته اللفظية على المعنى مكررًا، وهو ضم الشيء إلى مثله في اللفظ مع كونه إياه في المعنى؛ أي: إنه يدل على إعادة اللفظ أو المعنى في الكلام لإحراز فائدة الترسيخ والتأكيد(١)، فيُعد رافدًا فاعلًا في العملية الحجاجية؛ لأنه يوفر للحجج طاقة مضاعفة تؤثر في المتلقي تأثيرًا واضحًا ويساعد على إقناعه ويدفعه إلى أن يُسلم بما يقوله المحاجج؛ لأنه بالدرجة الأولى يساعد على تبليغ المخاطب وإفهامه قصد المحاجج من كلامه، وبالدرجة الثانية يؤدي إلى ثبوت الفكرة وترسيخها في ذهنه، فبالتكرار تتبين المقاصد، وتدرك مراميها؛ لتصبح واضحة جلية لدى المتلقي، فتنحو نحو القبول. فالتكرار المعنوي لجرائم الفئة الضالة ظاهرها التنوع، وباطنها واحد، وهو بشاعة الفعل وفداحة أثره، فتصل مقاصد الحجاج إلى عقل المتلقي؛ لترسخ به، وتؤهله إلى أن يتقبلها.

(١) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، ص٣، وينظر: شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب، الأستراباذي، ٤٩/١، والحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني دراسة في وسائل الإقناع، أمينة التيجاني، رسالة ماجستير، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، ٢٠١٥م، ص٤٥، الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، سامية الدريدي، ص١٦٨.

ونلحظ أن هذه الحجج يجمعها التكرار والأسلوب الاستفهامي، فقد ميز كل من "ديكرو"، و"أنسكومبر" نوعًا من الاستفهام، وأطلقا عليه الاستفهام الحجاجي، وهو: "نمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقًا من قيمته الحجاجية[١]، ومعناه أن هذا النوع من الاستفهام يحمل افتراضات ضمنية؛ مما يجعله استفهامًا حجاجيًا يحمل طاقة حجاجية تخدم النتيجة[٢]، وهي سوء أعمالهم التي تتوجب عقابًا شديدًا من الله. فالاستفهام فعل حجاجي بذاته؛ حيث نلحظ إنه يحث المستمع على التنازل والتسليم، فهذه الاستفهامات ليست عن المجهول بالنسبة للخطيب، بل هي حجج بالقصد المضمر.

والاستفهام من أنجع الأفعال اللغوية حجاجًا؛ إذ يضخم الخلاف بين المتلقي والخطيب أو يُلطف الخلاف بين المتكلم والمتلقي إذا كان المتلقي مخالفًا في الإجابة. والمستمعون للخطبة المكية شريحة كبيرة؛ فهناك الشاك، وهناك المنكر، وهناك المتفق مع الخطيب، غير أن الخطيب ينزله منزلة الشاك أو المنكر عبر هذه الصيغ؛ مما يجعل الحجاج أكثر قوة، وأبعد مدى في التحاور وإشراك الآخر.

وفي مثال آخر

قال الخطيب المكي في خطبته "**الأمن الاجتماعي وكيفية تحقيقه**": "**إن الأخوة الإيمانية الصادقة من أهم أسس فشُوِّ الأمن الاجتماعي، فيشعر كل مسلم أنه في مجتمع أفراده بررة رحماء، متعاطفون، متحابون، هيّنون، ليّنون، مشفقون، متباذلون يكرمون المحسن ويعينونه، ويسترون على المخطئ ويرحمونه، ولا يقابلونه بالتشهير والتعنيف والإقصاء، ولا يعينون عليه**

(١) ينظر: الحجاج في أحاديث الخطاب النبوي أحاديث المعاملات والعبادات أنموذجًا، العايش، رسالة ماجستير، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر، ٢٠١٤-٢٠١٥م، ص٥٣.

(٢) ينظر: اللغة والحجاج، العزاوي، ص٥٧.

الشيطان، فهو ما زال لهم أخًا، فينشأ من ذلك كله مجتمع آمن مستقر متماسك قوي"[1].

فالقضية التي يريد أن يثبتها الخطيب هي أن المجتمع المسلم يحافظ على الأمن الاجتماعي وكيفية تحقيقه، فيسوق الحجج التي تؤهل المجتمع ليصبح مجتمعًا آمنًا، وذلك عبر سرده لصفات المجتمع:

١. بررة.
٢. رحماء.
٣. متعاطفون.
٤. متحابون.
٥. هيّنون، ليّنون.
٦. مشفقون.
٧. متباذلون.
٨. يكرمون المحسن ويعينونه.
٩. ويسترون على المخطئ ويرحمونه، ولا يقابلونه بالتشهير والتعنيف والإقصاء، ولا يعينون عليه الشيطان، فهو ما زال لهم أخًا لهم.

فهذه أوصاف جعلت من الحجاج التراكمي أو النسطوري -حسب رأي بيرلمان- لا يمانع من تقديم حجة على أخرى، فهي في النهاية ستؤدي إلى هذا المجتمع الآمن.

(١) http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1437&hjmonth=06&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah.
القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، خطبة الأمن الاجتماعي وكيفية تحقيقه، ٠١/ ٠٤/ ٢٠١٦م، https://youtu.be/lu7Wblt7ytY.

ومما سبق، نلحظ أن الحجاج التراكمي يصعب تقنينه وتقعيده وفق شكل ثابت، غير أن أوصافه تتخذ من آليات اللغة سلمًا تبني عليه حجاجها، فكما لحظنا في المثال الأول للحجاج التراكمي أنه اعتمد على الوصف والكناية، أما الثاني فعبر المثال المدعم بالاستفهام، والثالث: بالاستفهام والتكرار، والرابع بتتابع الأوصاف.

ولذا نقرر أن أكثر اعتماد الحجاج التراكمي على الأنساق اللغوية والأساليب البلاغية الخبرية والإنشائية؛ من استفهام، وتعجب، وتعالق للنصوص في صورة تناص أو استشهاد من صور واقعية، على عكس السلالم التنازلية والتصاعدية التي تعتمد أكثر على العقل والمنطق المدعم بالروابط والقوانين العقلية بالدرجة الأولى عبر سياقات لغوية محكمة.

وبعد هذه الدراسة والجولة في الخطب المكية وتناولها لقضايا الأمن الفكري والسلم المجتمعي، نخرج بعدة نتائج منها:

١. إن مفهوم الأمن الفكري والسلم المجتمعي لدى الخطب المكية: ليس لمحاربة التطرف فحسب، بل لبناء مجتمع رصين مثالي ذي أخلاق راقية محمي من الكوارث والأخطاء لا معالج لها فقط، فموضوع الأمن الفكري والسلم المجتمعي متينٌ في المجتمع الإسلامي؛ لكونه يتمتع بمرجعية ثابته شاملة صالحة لكل زمان ومكان.

٢. إن السلالم التصاعدية والتنازلية طغت في الموضوعات المحاربة للفكر الداعشي المتطرف الذي يحتاج إلى المنطق والعقل، والتدرج في الإقناع، على عكس الموضوعات العامة ذات الصلة بأخلاقيات ومفاهيم عامة ناسبها الحجاج التراكمي.

٣. إن حظ قانون القلب في الخطب للمكية أقل حظًّا مقارنة بقانون الخفض والنفي؛ وذلك لما فيه من الحاجة إلى التفكير والثقافة العالية إلى حدٍّ ما، ولا شك أن جمهور خطبة الجمعة عام مفتوح، كما أن وقت الخطبة لا يسمح بالتفكير الطويل.

٤. قلة الشواهد الخارجية في الخطب المكية التي تعالج هذا الموضوع؛ وذلك لأن موضوع الأمن الفكري والسلم المجتمعي يحتاج إلى قناعة من الذات وتدرج في الإقناع، أما تناص النصوص والحجج الجاهزة فهي تفرض الرأي دون صنع حوار من الداخل حول الفكرة.

٥. أساليب اللغة في الحجاج التصاعدي والتنازلي من استفهام، وتشبيه، وتكرار قليلة جدًا، وهو يؤكد رغبة من الخطيب في أن يهيئ نصًا لا أن يشتت النص بجماليات اللغة أكثر من منطقية الفكرة والإقناع بها.

٦. حاجة الحجة التراكمية إلى سلالم تراكمية مكونة بأكثر من حجتين، على عكس التصاعدية والتنازلية في ذكاء من الخطيب المكي بميل حججه إلى البساطة وعدم التكلف؛ لحاجة العقل إلى تفكير في الأخرى، وحاجته إلى العاطفة في الأولى؛ أي التراكمية.

وبعد:

أوصى الباحثون بالبحث في تطبيقات النظرية الحجاجية وسلالمها، فلها صلة بكل أطياف المتلقين، ولحاجة المجتمع إليها، وبخاصة في موضوعات الأمن الفكري؛ لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في أمن المجتمعات وتطورها.

والحمد لله عند الابتداء والانتهاء.

قائمة المراجع

استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، الشهري، عبد الهادي ظافر، ط١، ليبيا، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠٠٤م.

آليات الحجاج البلاغي لوصايا الحكماء في العصر الجاهلي مقاربة تداولية، الغرابية، علاء الدين، العمري، أمل، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإسلامية بغزة، فلسطين (م٢٧)، العدد: ٣، ٢٠١٩م.

الأمن الفكري ودوره في تعزيز مكافحة التطرف الديني والإرهاب-، بوكرب، محمد، دراسة حول الإرهاب في الجزائر، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر، ٢٠١٤م.

الأمن الفكري وسبل تحقيقه، البريك، سعد عبد الله، ط١، السعودية، الصقر للطباعة والنشر، ٢٠١٣م.

الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، الخطيب، تحقيق: فرهود، محمد السعدي، خفاجي، محمد عبد المنعم، شرف، عبد العزيز، ط٦، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ومصر، دار الكتاب المصري، ٢٠٠٤م.

البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى عليه السلام، العرابي، محمد، رسالة ماجستير، وهران، جامعة السانية، ٢٠٠٩م.

تجليات الحجاج في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجًا، دحما، حياة، رسالة ماجستير، باتنة، الجزائر، جامعة الحاج لخضر، ٢٠١٣م.

التداولية أصولها واتجاهاتها، ختام، جواد، كنوز المعرفة، ط١، عمان، ٢٠١٦م.

توظيف الروابط الحجاجية في مقالات البشير الإبراهيمي دراسة تحليلية للرابط الحجاجي، عطا الله، محمد، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة باتنه، العدد١١، الجزء : ١، مارس ٢٠١٩م.

الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي، عكاشة، نور الدين، رسالة دكتوراه، الجزائر، جامعة محمد لمين دياغين سطيف٢، ٢٠١٥-٢٠١٦م.

الحجاج في أحاديث الخطاب النبوي أحاديث المعاملات والعبادات أنموذجًا، العايش، سمير، رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، ٢٠١٥م.

الحجاج في الخطاب السياسي الرسائل السياسية الأندلسية خلال القرن الخامس الهجري أنموذجًا دراسة تحليلية، قادا،عبد العالي، ط١، عمّان، دار كنوز، ٢٠١٥م.

الحجاج في الشعر العربي بنيته وأساليبه، الدريدي، سامية، ط٢، الأردن، عالم الكتب الحديث، ٢٠١١م.

الحجاج في رسائل الشيخ أحمد التيجاني دراسة في وسائل الإقناع، التيجاني، أمينة رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة حمة لخضر الوادي، ٢٠١٥م.

الحجاج في ضوء البلاغة القديمة والنقد الحديث، المالكي، بن حميدي، عبدالرحمن، مجلة البحث العلمي في الآداب، مصر، كلية التربية جامعة عين شمس، العدد: ١٩، الجزء: ٢ .

الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقه، علوي، حافظ إسماعيل، ط١، د.م، دار الروافد ابن النديم، ٢٠١٣م.

الذات والآخر أنموذجًا، جعفورة، محمد معز، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١٧م.

الرحيــق المختــوم، المباركفــوري، صفــي الرحمــن، د.ط، قطــر، وزارة الشــؤون والأوقاف، ٢٠٠٧م.

الروابط الحجاجية في توقيع أبي محمد الحسن العسكري عليه السلام إلى إسحاق بن إسماعيل النيسابوري، العرداوي، عبد الإله، مجلة دواة، ضريح الإمام الحسين العتبة الحسينية المقدسة، العراق، كربلاء، المجلد٢، العدد:٦، ٢٠١٥م.

السلالم الحجاجية في شعر الوائلي، حنون، عايد جدوع، العبودي، صلاح جباري شناوة، مجلة أوروك، العدد: ٢، ٢٠١٦م.

السلم المجتمعي مقوماته وحمايته، الصفار، حسن، ط١، بيروت، دار الساقي، ٢٠١١م.

شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الأستراباذي، لابن حاجب، تحقيق: عمر، يوسف حسن، ط١، ليبيا، جامعة قا مجد الدين ريونس، ١٩٥٩م.

القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مجد الدين، تحقيق: مكتب تحقيق التراث، بإشراف: عرقسوسي، محمد نعيم، ط٦، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨م.

لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، ط٣، بيروت، دار صادر، ١٤١٤هـ.

اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، عبد الرحمن، طه، د.ط، المغرب، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٦م.

اللغة والحجاج، العزاوي، أبو بكر، ط١، د.م، دار العمدة، ٢٠٠٦م.

المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير، أبو بكر، تحقيق: بن عبد الحميد، محمد، د.ط، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ.

المشروع البلاغي عند محمد العمري، بحث في بلاغة الحجاج دراسة تفاضلية، ضيف، عبد الباسط، إشراف: صبيعات، أحمد، جامعة الجلفة، ٢٠١٦ -٢٠١٧م.

معاني النحو، السامرائي، فاضل صالح، ط١، بيروت، دار الفكر، ٢٠٠٠م.

مغني اللبيب في كتب الأعاريب الأنصاري، ابن هشام، تحقيق: بديع يعقوب، إميل، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

منزلة العواطف في نظريات الحجاج، عبيد، حاتم، الكويت، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد: ٤٠، العدد: ٢، ديسمبر٢٠١١م، كم ص: ٨٩ إلى ص: ١١٩.

النحو الوافي، عباس، حسن، ط٢، مصر، دارالمعارف، ١٩٧٧٨م.

نظرية أفعال اللغة لدى الفيلسوف أوستن أسسها وحدودها الفلسفية، أخدوش الحسين، د.ط، د.م، منشورات مؤمنون بلا حدود، ٢٠١٦م.

نظرية الحجاج دراسة وتطبيقات، صولة، عبد الله ط١، تونس، دار مسكيلياني، ٢٠١١م.

نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، بنو هاشم، الحسين، ط١، لبنان، دار الكتاب الجديد، ٢٠١٤م.

المواقع الالكترونية:

1. https: //arabic.cnn.com/middleeast/2016/01/31/saudi-mosque-explosion-investigation

٢. بوابة الحرمين الشريفين:

http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1436&hjmonth=10&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah

- خطبة بيان حول الفئة الضالة داعش، ١٤/ ٠٨/ ٢٠١٥م:

http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1436&hjmonth=10&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah.

- خطبة الوعي والحذر، ٠٨/ ٠١/ ٢٠١٦

http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1437&hjmonth=03&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah.

- خطبة التعايش والوفاق في المجتمع الإسلامي، 04/ ٠٣/ ٢٠١٦

http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1437&hjmonth=05&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah.

- خطبة الأمن الاجتماعي وكيفية تحقيقه، ٠١/ ٠٤/ ٢٠١٦م

http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&hjyear=1437&hjmonth=06&browseby=khateebaudio&placeid=1&audiotype=khutbah .

- خطبة نصرة الإسلام بالعمل والدعوة إليه، ٠٦/ ١١/ ٢٠١٦م

http://www.alharamain.gov.sa/index.cfm?do=cms.khutbah&audiotype=khutbah&browseby=khateebaudio&placeid=1&display=all&page=2.

٣. **القناة الرسمية لرئاسة شؤون الحرمين، على موقع اليتيوب**

- خطبة بيان حول الفئة الضالة داعش، 14/ ٠٨/ ٢٠١٥م،

https://youtu.be/t2FfK-RJbi4K

- خطبة الوعي والحذر ٠٨/ ٠١/ ٢٠١٦،

https://youtu.be/Y1EJeE1LyoQ

- خطبة التعايش والوفاق في المجتمع الإسلامي ٠٤/ ٠٣/ ٢٠١٦

https://youtu.be/twMOWEY93nk

- خطبة الأمن الاجتماعي وكيفية تحقيقه، ٠١/ ٠٤/ ٢٠١٦م

https://youtu.be/lu7Wblt7ytY

- خطبة نصرة الإسلام بالعمل والدعوة إليه،٠٦/ ١١/ ٢٠١٦م

https://youtu.be/4YOizRZhtY4